دراسات في

تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم

الدكتور

محمد رشاد جبر المقدم

مدرس التاريخ القديم

بكلية الآداب، جامعة دمنهور

٢٠٢٠م

اسم الكتاب: دراسات في تاريخ و حضارة الشرق الأدنى القديم.

اسم المؤلف: د/ محمد رشاد جبر المقدم

سنة الطبع: ٢٠٢٠م.

عدد الصفحات: ١٧٣

الناشر: دار كمت للطبع والنشر والتوزيع.

البريد الإلكتروني: E-mail: dar.kamet@gmail.com

حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة

لا يجوز طبع أو نشر أو استنساخ أو تصوير أو تسجيل أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة كانت إلا بعد الحصول على الموافقة الكتابية من الناشر.

تقديم:

يعد تعبير الشرق الأدنى القديم تعبير اصطلاحي تأثر إلى حد ما بالتعبير الأوروبي "The Ancient Near East" الذي ظهر في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، والذي يشير إلى المنطقة الممتدة من أعالي الشام وأعالي العراق شمالا حتى سواحل بحر العرب " أو المحيط الهندي" جنوبًا، ومن شمال إفريقيا وشمال السودان غربًا حتى الخليج العربي شرقًا، أي أنها تتضمن ما يشغله الشرق العربي في حدوده الحالية. (١)

وقد ظل مصطلح "الشرق الأدنى" شائع الاستعمال حتى الحرب العالمية الثانية، عندما أنشأت الحكومة البريطانية منطقة عسكرية تمتد من إيران إلى ليبيا، وأطلقت عليها الشرق الأوسط الذي أصبح يتضمن حاليًا إيران وتركيا، وقد تضاف أفغانستان إليهما، وكذلك العراق وشبه الجزيرة العربية وسوريا ولبنان وفلسطين والأردن ومصر، بالإضافة إلى بعض الإمدادات المختلفة المحددة تجاه الجنوب والغرب حتى المناطق الإفريقية التي تتحدث بالعربية.

ثم اندمج المصطلح الجديد (الشرق الأوسط) مع المصطلح القديم (الشرق الأدنى القديم)، وأصبح مصطلح عام شائع الاستعمال حتى وقتنا الحاضر عند الحديث عن الأوضاع السياسية في منطقة الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، غير أن هذا في الوقت ذاته لم يمنع العلماء المصريين والأجانب حاليًا من إعادة استخدام المصطلح القديم " الشرق الأدنى" في مؤلفاتهم العلمية عند الحديث عن تاريخ وحضارات المنطقة في العصور القديمة . (٢)

وعلى أية حال، فالكتاب ينقسم حسب المناطق التي يبحث فيها إلى ثلاثة أبواب رئيسية، فخصص الباب الأول منها لحضارة العراق القديم، بينما عالج الباب الثاني حضارة العرب في العصور القديمة، في حين تناول الباب الثالث والأخير حضارة بلاد الشام.

---

(١) عبد العزيز صالح: *الشرق الأدنى القديم*، الجزء الأول، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ب. ت، ص٥.

(٢) رمضان عبده على : *تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته*، الجزء الأول، دار نهضة الشرق، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص٣-٤.

هـذا وقـد تتضـمن البـاب الأول ثلاثـة فصـول رئيسـية، عـالج الأول منهـا التنظـيم السياسـي والإداري فـي العـراق القـديم بمراحلـه التاريخيـة المختلفـة، بينمـا عـالج الفصـل الثـاني النـواحي الدينيـة، فـي حـين تنـاول الفصـل الثالـث التشـريعات والقـوانين العراقيـة بوصـفها أول التشريعات المكتوبة في تاريخ البشرية.

أمـا البـاب الثـاني فيتضـمن ثلاثـة فصـول، اخـتص الأول منهـا بالتنظيمـات السياسـية والإداريـة والعسـكرية فـي ايـران فـي العصـور القديمـة، بينمـا عـالج الفصـل الثـاني الفكـر الـديني عنـد الإيـرانيين القدامى، في حين اختص الفصل الثالث بالآداب والعلوم.

أمـا البـاب الثالـث والأخيـر فقـد تتضـمن هـو الأخـر ثلاثـة فصـول، عـالج الأول منهـا تـاريخ الأمـوريين وحضـارتهم، بينمـا تنـاول الفصـل الثـاني تـاريخ الفينيقيـين وحضـارتهم، أمـا الفصـل الثالـث فقـد اخـتص بتاريخ وحضارة العبرانيين في العصور القديمة.

هـذا وقـد حـرص المؤلـف علـى أن يخـرج الكتـاب بأسـلوب مبسـط ومـؤجز بحيـث يسـتطيع القـارئ فهـم المعـالم الحضـارية المختلفـة للحضـارات الـثلاث بسـهولة، وتجنـب أيـة تفاصـيل مـن شـانها أن تضـيع القـارئ فـي متاهاتهـا. كمـا حـرص المؤلـف فـي الوقـت ذاتـه علـى تـذييل الكتـاب بـبعض الصـور التـي مـن شـأنها أن تيسـر علـى القـارئ تصـوره لـبعض المعـالم الحضـارية، والتـي جـاء وضـعها متواكبـاً مـع الهـدف العلمي والموضوعي المرجو منها.

والله ولي التوفيق

الباب الأول

مدخل إلى حضارة العراق

الفصل الأول: التنظيم السياسي والإداري.

الفصل الثاني: الفكر الديني.

الفصل الثالث: التشريعات والقوانين

الفصل الأول

التنظيم السياسي والإداري

١. تطور النظام السياسي في العراق القديم:

١.١ نظام دويلات المدن.

٢.١ النظام الملكي الموحد.

٢. ولاية العهد.

٣. تتويج الملك.

٤. ألقاب الملك.

٥. البلاط الملكي.

٦. الجهاز الإداري.

الفصل الأول

التنظيم السياسي والإداري

١. تطور النظام السياسي في العراق القديم:

١.١ نظام دويلات المدن:

كانت دويلات المدن أول أشكال الحكومات في بلاد ما بين النهرين، حيث انتظمت بلاد العراق في المرحلة الأولى من تاريخها في دويلات صغيرة حالت دون قيام دولة مركزية موحدة،[١] وربما كان السبب في ذلك يرجع إلى طبيعة القسم الجنوبي من العراق، حيث حالت المساحات الشاسعة من المستنقعات دون سهولة الإتصال بين القرى والمدن، الأمر الي أعاق تحقيق الوحدة السياسية.[٢]

وتتمثل كل دويلة من هذه الدويلات في المدينة وما يحيطها من أراض، وكانت أحيانا تضم أكثر من مدينة، ولعب معبد إله المدينة فيها دور القصر الملكي، حيث هيمن المعبد على قسط كبير من الحياة الإقتصادية، فقد أديت فيه بعض الحرف التي يقوم الكهنة بتدريب الأولاد عليها، ولقد كثرت تلك المهن ومثلت فيها كل الطبقات ابتداء من العبيد حتى أبناء الحكام، والجميع خضع لسلطة الكاهن الأكبر بوصفه حاكم المدينة.[٣]

---

(١) محمد أبو المحاسن عصفور: *معالم حضارات الشرق الأدنى القديم*، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٧م، ص ١٩٩.

(٢) محمد بيومي مهران: *تاريخ العراق القديم*، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٨م، ص٩٤.

(٣) عبد الحميد زايد: *الشرق الخالد*، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦م، ص١٦١ .

كما كان للمعبد أملاك يؤجرها، وأخرى يقوم باستئجارها بنفسه وذلك بما يتوفر عنده من أدوات وحيوانات وعمال، وكانت له مصانعه ومخازنه، وقامت إدارة المعبد بتقديم البذور والحيوانات وجميع الوسائل الخاصة بالزراعة وذلك للأرض المشتركة، وكلف جميع الأهالي بالعمل في هذه الأرض، يستوي في ذلك أصحاب المراكز الكبرى والصغرى، وفي مقابل ذلك فقد كفل المعبد تحقيق قوت أفراد المجتمع، حيث خصص لكل فرد حصة من الأرض لتأمين حياته. ومن كل ذلك يمكن أن نصل إلى استنتاج مفاده أن الكهنة كانوا يتولون إدارة المجتمع الخاص بالمعبد وذلك نيابة عن الإله.(١)

فالحاكم في هذه المرحلة الزمنية المبكرة كانت له وظيفتان: الأولى وظيفة حاكم المدينة، والثانية وظيفته كممثل للإله أو ككاهن أعظم. وكان عليه بموجب وظيفته الأولى حماية مدينته وتوسيع حدودها والنهوض باقتصادها، كما تحتم عليه بوصفه ممثلا للإله أن يرعى شؤون المعبود الرئيسي والمعبودات الأخرى، إلى جانب الإهتمام بالمعابد في مدينته، (٢) **لذلك فلا غرو أن يلقب الحاكم في هذه المرحلة بلقب إنسي بمعنى النائب أو الوكيل إشارة إلى وكالته عن معبود مدينته في حكم بلده وأهلها،** (٣) **أما عندما كانت تزداد قوة مدينة ما وتخضع لسلطتها بعض المدن الأخرى فكان حاكم تلك المدينة ينال لقب لوغال- أي الملك.**(٤)

---

(١) نفسه، ص١٦١-٢.

(٢) برهان الدين دلو: *حضارة مصر والعراق: التاريخ الإقتصادي والإجتماعي والثقافي والسياسي*، الطبعة الأولى، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٩م، ص٢٥٢.

(٣) هيفاء أحمد عبدالحاج: *ألقاب حكام وملوك العراق القديم*، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل،٢٠٠٧م، ص٤٢.

(٤) نعيم فرح: موجز *تاريخ الشرق الأدنى القديم(السياسى والاجتماعى والاقتصادى والثقافى)*، دار الفكر، دمشق، (د.ت)، ص٢١-٢.

ومن الجدير ذكره، أنه كان في كل مدينة مجالس شعبية ومجالس شيوخ تتمتع بحقوق انتخاب الحاكم وربما عزله، وإقرار العدل واتخاذ إجراءات إدارية، ومناقشة قضايا السياسة الرئيسة مع حاكم المدينة، الأمر الذي يعد دليلًا على وجود نوع من الديموقراطية في جنوب بلاد ما بين النهرين، على الأقل حتى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد. [١]

ومما يدل على مبلغ معرفة أهل بلاد الرافدين لنظام الحكم الديمقراطي أنهم تصوروا الآلهة كالبشر يجتمعون في مجلس شوري في السماء، وذلك للفصل في شؤون الناس، وقد اشتركت الآلهة في هذه المجالس، مما يشير إلى إحتمالية اشتراك المرأة في مجالس الرجال التي كانت سائدة وقتذاك. [٢]

٢.١ النظام الملكي الموحد:

في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد، كانت الظروف قد نضجت في بلاد الرافدين لتوحيد البلاد وإقامة سلطة مركزية، فقد استطاع سرجون الأكدي أن يقضي على نظام دويلات المدن وينتقل ببلاد الرافدين إلى نظام ملكي موحد للمرة الأولى في تاريخها. [٣]

تفسير ذلك أن النظام الديمقراطي الذي ظهر في مجتمع دويلات المدن لم يتطور كما تطور في بلاد اليونان كالديمقراطية الأثنية، ولا نعرف لذلك من سبب إلا أن يكون هذا النظام لم يكن متفقا مع أحوال البلاد، إذ أنه يحول دون التوسع السياسي من مدينة إلى دولة كبيرة، كما إن الديمقراطية لا تصلح إذا ما مر بالبلاد أزمة من الأزمات خصوصًا الحروب

---

(١) برهان الدين دلو: *المرجع السابق*، ص٢٥١-٢.

(٢) عبدالحميد زايد: *المرجع السابق*، ص١٦٥.

(٣) برهان الدين دلو: *المرجع السابق*، ص٢٥١.

الخاطفة التي تتعارض مع البطء في أخذ القرارات من هذه المجالس، لذلك انتقل الحكم من النظام الديمقراطي البدائي إلى نظام ملكي أوتقراطي.

ومع ذلك فقد بقيت مجالس الشورى السابقة، لكن اختفت اختصاصاتها بحيث أصبحت مقصورة على الإشراف القضائي والنظر في الدعاوي المهمة مثل توقيع عقوبة الإعدام وتنفيذها، [١] هذا إلى جانب وجود محاكم مختلفة مؤلفة من قضاة مدنيين وكهنة. [٢]

وفي الواقع جاء اتحاد بلاد الرافدين تحت سلطة سرجون الأكدي في صالح الأشراف والنبلاء، حيث أصبح للسلطة الملكية المستبدة قوة عسكرية تستطيع من خلالها توطيد سلطتها المطلقة على الجماهير العاملة، ومن ناحية أخرى فقد حصلت في الدولة تطورات إقتصادية كبيرة غير ممكنة في الدول الصغرى، فمثلاً أصبحت مشاريع الري التي تنظم فيضانات الأنهار الكبرى تنتشر في طول البلاد وعرضها مما ساعد على زيادة الإنتاج، كما وضع نظام موحد لتوحيد المقاييس والأورزان، الأمر الذي أدى إلى تقوية العلاقات التجارية داخل البلاد. [٣]

أما فيما يتصل بمظهر الملكية في العراق القديم، فقد كان ثيوقراطيا أي دينيا، حيث اعتقد القوم أن الملكية مقرها في السماء، حيث تشير الآداب الدينية إلى أن شارات الملك كانت في السماء عند الإله آنو قبل أن تبدأ الملكية في الارض، ثم هبطت الملكية قبل الطوفان في مدينة أريدو، ثم صعدت إلى السماء أثناء الفيضان، ثم نزلت مرة ثانية إلى

---

(١) لمزيد من المعلومات عن هذه المجالس، وتطورها وإختصاصاتها، انظر:
معاذ حبش خضر العبادي: *المجالس في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية*، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة الموصل، ٢٠١٢م.

(٢) أحمد أمين سليم: *دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم (العراق- ايران)*، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢م، ص ٨-٩.

(٣) نعيم فرح: *المرجع السابق*، ص٢٦-٧.

مدينة كيش، وأن الآلهة في السماء قد أنابت عنها في حكم البشر الملوك والحكام. [1]

وعلى هذا أصبح للملوك مكانة مقدسة لدى الشعوب، بل وربما اتخذوا صفات الآلهة نفسها، ولكنهم لم يعبدوا كآلهة حقيقيين أثناء حياتهم ولم يتعدوا طور التقديس والتشبه بالآلهة، وأن كان هناك بعض الملوك قد أدعى أنهم أبناء للآلهة، ولكنهم كانوا أبناء بالتبني وليسوا أبناء طبيعيين، فقد يتبنى أحد الآلهة ملكا، وقد تعتني إلهة من الإلهات ببعض الملوك فترضعهم وتسميهم بأسمائها، ويعد هذا من الأمور التي لجأ إليها بعض الملوك المغتصبين للحكم في تبرير حكمهم.

وكان الملك سرجون الأكدي من أوائل الملوك الذين لجأوا إلى هذا الإدعاء، حيث تشير الأساطير إلى إنه نشأ نشاة متواضعة، ولولا حب الآلهة عشتار له وتفضيلها له لما أصبح على ما كان عليه. [2]

٢. ولاية العهد:

كانت الملكية في العراق وراثية، حيث كان يخلف الملك أحد أولاده لاسيما البكر، ولكن هذا لم يكن مطلقًا، فهناك بعض الاستثناءات التي خلف فيها الملك الحاكم أخاه، فالملك السومري "أي أناتم" (حكم حوالي ٢٤٥٠ ق.م) لم يكن ولدًا لسلفه بل أخًا له، ولسبب أو لأخر قد يعين الملك ولده البكر، ثم يغير رأيه بعد ذلك، فسنحاريب عين ابنه البكر خليفة له، ثم عدل عن رأيه السابق ونصب ابنه الأصغر.

---

(١) عبد الحميد زايد، *المرجع السابق*، ص١٦٥؛

(٢) أحمد أمين سليم: حضارة العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١٦م، ص١٩٢-٣.

وقد جرت العادة أن يستشير الملك الآلهة عن طريق الكهنة في اختيار ولي العهد، أو أن يحصل الملك على رغبة الآلهة في تعيين ولي العهد عن طريق الأحلام أو الفؤول، أو بعلامات سماوية أو أرضية يفسرها الكهنة. (١)

وكان الملك يقيم احتفال كبير يحضره كبار القادة العسكريين والحكام والأمراء لمبايعة ولي العهد، والذي يرسل بعد ذلك إلى قصر ولاية العهد الذي كان يعرف باسم " بيت ريدوتي"، حيث يتلقي فيه التثقيف والتدريب على وسائل الحياة السياسية والعسكرية والإدارية. (٢)

وبعدما ينتهي ولي العهد من فترة تدريبه يعهد إليه ببعض الأعمال نيابة عن والده، حيث كان له الحق بالاطلاع على كثير من الأمور لاسيما التقارير التي تبعث من حكام المقاطعات، كما كان ينظر في الشكاوي التي ترفع له من قبل الرعية، (٣) **وبالإضافة إلى ذلك فقد كان ولي العهد يكلف بقيادة بعض الحملات العسكرية على نحو ما فعل نبوخذ نصر عندما تولى بعض الحملات المهمة نيابة عن أبيه لاسيما حملته ضد المصريين بزعامة نيخو في عام ٦٠٥ ق.م،** (٤) **بل إن ولي العهد أحيانًا كان يسند إليه كل مهام الملك الحاكم، وينهض خير دليل على ذلك**

---

(١) سامي سعيد الأحمد: الإدارة ونظم الحكم، حضارة *العراق*، ج ٢، بغداد، ١٩٨٥م، ص١٨.

(٢) عامر سليمان: اكتشاف مدينة تربيصو الآشورية: *مجلة أداب الرافدين*: العدد رقم ٢، مارش ١٩٧١م، ص ٢٩-٣١.؛ أحمد حبيب سنيد الفتلاوي: *أسرحدون ٦٨٠-٦٦٩ ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة*، كلية التربية جامعة واسط، ٢٠٠٦م، ص٣٥-٦.

(٣) نفسه، ص٣٦-٧.

(٤) حياة إبراهيم محمد: *نبوخذ نصر الثاني (٦٠٥-٥٦٢ ق.م)*، بغداد، ١٩٨٣م، ص٥٩.

بيل شار أوصور (بيلشاصر في التوراة) الذي ناب عن والده الملك نابوئيد(٥٥٦-٥٣٩ ق.م) عند فترة غيابه في مدينة تيماء.[١]

٣. تتويج الملك:

كان ولي العهد بمجرد أن يختتم الممارسات والطقوس الخاصة بدفن الملك السابق يتجه إلى معبد الإله أشور ليتسلم الشارات الملكية (التاج والصولجان..)، حيث إنها كانت تودع هناك بعد وفاة الملك، ولدينا نص آشوري يبين لنا بالتفصيل مراسم التتويج: يحمل ولي العهد على عرشه على أكتاف الرجال في موكب يتقدمه كاهن يدق الطبل، ويصيح:" آشور هو الملك" على إعتبار أن الإله آشور هو المانح للملكية في آشور، ثم يدخل الملك المعبد ويقبل الأرض ويشعل البخور ، ثم يعتلي منصته في نهاية المعبد، حيث تمثال الإله، فيسجد أمامه، ويقدم له الهدايا، ويهيئ مائدة قرابينه، وفي نفس الوقت يهيئ الكهنة مائدة قرابين لغيره من الآلهة.

ويتبع ذلك المرحلة الأخيرة من متطلبات التتويج، فيسمح الملك بزيت خاص يحمل بإناء ذهبي وعندما يجلب تاج الإله آشور وأسلحة زوجته الآلهة ننليل، وتوضع على منضدة عند أقدام الإله، ويحمل الكاهن التاج والصولجان على وسادة مصنوعة من القماش يتقدمه الكاهن الاعلى، وبينما يتوج الكاهن الأعلى الملك يردد العبارات الآتية:

" التاج لراسك، عسى الآلهة آشور ونليل، سادة

تاجك

يضعونه عليك لمدة مائة سنة

---

(١) عيد مرعي: نابونيد آخر ملك بابلي، *حولية كلية الإنسانيات والعلوم الإجتماعية*، العدد١٨، جامعة قطر، ١٩٩٥م، ص١٥٢.

قدمالك في أيكور، ويداك ممدتان

إلى آشور الهك، وعسى أن يفضلانك

أمام آشور الهك، عسى كهنتك وكهنة

بلادك

يجدان العطف

بصولجانك المستقيم وسع بلادك

عسى الإله آشور أن يمنحك القناعة والعدل

والسلام"

وبعد أن ينتهي الكاهن من الدعاء تقام صلوات الإحتفال، ويجتمع موظفو الدولة أمام منصة العرش لتقديم الولاء، حيث يقدمون هداياهم ويخلعون شاراتهم ويضعونها أمام الملك، ولا يتقدمون أمامه حسب وظائفهم، مما يعني أنهم تخلوا عنها ليختار الملك من بينهم أعضاء حكومته وكبار موظفيها، فإن شاء ابقاءهم في مناصبهم، وإن رغب عنهم عزلهم. [1]

٤. ألقاب الملك:

في البداية وكما سبق أن ذكرنا كان حكام الدويلات السومرية يتخذون لقب "أنسي" بمعنى النائب أو الوكيل، بالإضافة إلى لقب لوغال بمعنى الملك العظيم، ذلك اللقب الذي قد يشير إلى أن سلطة صاحبه كانت تمتد إلى أكثر من مدينة، (٢) لكن عندما نجح الملك لوجال زاجيري

---

(١) علي ياسين الجبوري: نظم الحكم، *موسوعة الموصل الحضارية*، المجلد الأول، الطبعة الأولى، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩١م، ص ٢٣٤.

(٢) نفسه: ص٢٣١.

في توحيد معظم جنوبي العراق، فنجده قد اتخذ عدة ألقاب مناسبة لذلك، مثل لقب" ملك البلاد"، "ملك الوركاء" ، "ملك أور ووكيل الأقطار".

وفي العصر الأكدي تبنى سرجون عدة ألقاب عندما نجح في توحيد البلاد، ويأتي في مقدمة هذه الألقاب لقب "ملك سومر"، "ملك العالم"، "ملك الجهات الأربع"، وكان اللقب الأخير مقصورا على بعض الآلهة، الأمر الذي يحمل إلى القول بأن سرجون ربما أراد أن يعلن نفسه بذلك ممثلًا للآلهة على الأرض. (١)

أما في عهد أسرة أور الثالثة فقد تلقب ملوكها بلقب " سرجون الأكدي" "أي ملك سومر وأكد" ، وربما يرجع السبب في إتخاذ هذا اللقب إلى محاولة ملوك أسرة أور التوفيق بين الأكديين الساميين والسومريين، وبالإضافة إلى ذلك فقد اتخذ ملوك هذه الأسرة لقب ملك الجهات الأربع، وهو لقباً تشريفيا أكثر منه فعليًا. (٢)

واتخذ الملوك الكاشيون(١٥٩٥-١١٥٧ ق.م) بصورة عامة نفس الألقاب التي اتخذها ملوك العراق الأسبقون فاتخذوا الألقاب: ملك بابل والملك القوي وملك سومر وأكد واضافوا لها ملك الكاشيين وملك كاردونياش، وربما يعني اللقب الأخير ملك القطر البحري.

و تلقب ملوك العصر الآشوري الأوائل لقبي أنسي بعل وكاهن آشور، ثم أضاف إليها شلمنصر الأول (١٢٧٤-١٢٤٥ ق.م) لقب ملك الكل، ذلك اللقب الذي يوازي اللقب البابلي القديم ملك العالم، وفي عهد توكلتي ننورتا الأول (١٢٤٤-١٢٠٨ ق.م) بدات ألقاب آشور تتكامل، حيث اتخذ عدة ألقاب يأتي في مقدمتها لقب "ملك العالم"، "ملك الجهات

---

(١) سامي سعيد الأحمد: *المرجع السابق*، ص١٧.

(٢) محمد بيومي مهران: *حضارات الشرق الأدنى القديم*، الجزء الأول، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦م، ص٧١.

الأربـع"، "الملـك القـوي"، "ملـك بـلاد آشـور"،[١] كمـا تلقـب بلقـب "ملـك سـومر وأكد"، " ملك سيبار وبابل"، "ملك كاردنياش"، " ملك تلمون وملوحا. [٢]

٥. البلاط الملكي:

كـان بـلاط الملـك يتكـون مـن الزوجـة التـي كانـت كـان لهـا قصـرها الخـاص وأملاكهـا الواسـعة ونفوذهـا الكبيـر فـي تصـريف شـؤون الدولـة، كمـا كـان لأولادهمـا بيـتهم ومـا إلـى ذلـك مـن الخـدم والـزراع والسـقاة وغيـر ذلـك مـن أصحاب الحرف المختلفة.

وكـان يلـي الملـك وزوجتـه ال"نوبانـدا" وهـو بمثابـة وزيـر الماليـة أو نـاظر القصـر، ويعتبـر مـن أهـم مـوظفي القصـر فهـو" مـنظم مشـروعات المنـافع العامـة والشـون الزراعيـة وأمـين خزانـة الملـك ونـاظر الـري ومسـجل عقود البيع وحاجب القصر".

وتشـير المصـادر إلـى وجـود عـدد مـن ال"نوبانـدا" (نظـارًا) يخـتص كـل واحـد مـنهم بقطـاع مـن قطاعـات الدولـة المختلفـة، وإلـى جانـب هـؤلاء كـان يوجـد عـدد مـن الكهنـة والقضـاة وأمنـاء مخـازن الغـلال والكتـاب وغيـرهم مـن الموظفين العموميين. [٣]

وقـد أحـاط الملـوك أنفسـهم بحاشـية ضـخمة مؤلفـة مـن الأخصـاء والمقـربين كحامـل الخـتم وأمـين القصـر وحامـل السـيف وغيـرهم، بالإضـافة إلـى عـدد مـن الكتبـة ورؤسـاء المكتبـات، كمـا كـان لكـل مـن المالكـة الوالـدة

---

(١) سامي سعيد الأحمد: *المرجع السابق*، ص١٧.

(٢) محمد بيومي مهران: *المرجع السابق*، ص٧٢.

(٣) ل.ديلايـورت: بـلاد مـا بـين النهـرين: *الحضـارتان البابليـة والآشـورية*، ترجمـة محـرم كمـال، مراجعـة عبـد المـنعم أبـو بكـر، الطبعـة الثانيـة، الهيئـة العامـة للكتـاب، القـاهرة، ١٩٩٧م، ص ٧٠.

وزوجة الملك وولي العهد هيئة من الموظفين على نسق حاشية الملك، ولكن بطبيعة الحال بشكل مصغر . [1]

٦. الجهاز الإداري:

تعاظمت سلطة الدولة المركزية في العصر الأكدي، حيث ظهر أن حاشية القصر وموظفيه قد ازدادوا كثيرا نظرا لتوسعات الدولة الخارجية وزيادة مسئولياتها، فذكر سرجون بأنه كان يطعم ٥٤٠٠ شخص كل يوم على مائدته، الأمر الذي يعد دليلًا على كثرة موظفي قصره، كما عمل سرجون في الوقت ذاته على تقليص نفوذ حكام الأقاليم حتى لا يشكلون تهديدًا للحكومة المركزية. [2]

وفي عصر أسرة أور الثالثة (٢١١٥-١٩٩٨ ق.م) ازدادت قوة السلطة المركزية، وذلك بعدما نجح ملوكها في تقوية دعائم الحكم المركزي وذلك بتعيين حكام الأقاليم بدلًا من الأمراء الذين كانوا يتوارثون مناصبهم، [3] كما عمل ملوك هذه الأسرة منذ عهد الملك شولجي (٢٠٩٥-٢٠٤٨ ق.م) على توسيع الجهاز الإداري، الأمر الذي استلزم تعيين كثير من الموظفين في شتى المرافق، ويمكن بوجه عام تصنيف جهاز الدولة الوظائفي ابتداء من درجاته السفلى في هذه الفترة إلى طبقتين:

الطبقة الأولى: تتكون من الكتبة والمسجلين (دب سار بالسومرية)، وكان هؤلاء مصنفين إلى درجات ومراتب.

الطبقة الثانية: تتكون من كبار الموظفين مثل مديري المشاغل والمصانع الخاصة بالقصر والمعبد، وكبار الموظفين الموكلين بإدارة أملاك القصر والمعبد والكهنة وقواد الجيش وحكام المدن والأقاليم. ويعد الحكام طبقة

---

(١) محمد أبو المحاسن عصفور: *المرجع السابق*، ص٢٠١-٢.

(٢) سامي سعيد الأحمد: *المرجع السابق*، ص٢٢.

(٣) أحمد أمين سلم: *المرجع السابق*، ص٢٠٦-٧.

عليا من الموظفين ويسمى الحاكم بالسومرية أنسي وبالبابلية اشاكم وشكنا ثم يأتي في قمة الهرم الإداري الملك ومستشاره ووزيره الأعظم "سكال-ماخ"

وبالإضافة إلى ذلك، فقد استحثت في عصر أسرة أور الثالثة دوائر إقتصادية مهمة مثل دائرة المقاييس والمكاييل التي كانت مسئولة عن تنظيم الأوزان والمكاييل الرسمية المضبوطة ومراقبتها، وقد ظل هذا النظام معمولا به في المراحل التاريخية اللاحقة. (١)

وفي العصر البابلي القديم بلغت السلطة المركزية أوج قوتها، حيث صار الملك سيدًا مطلقا على جميع بلدان المملكة لاسيما في عهد حمورابي، وتم نقل جميع السلطات من المعبد إلى القصر، وأصبح صنف القضاة والمحاكم القضائية علمانية . (٢)

كما عمل حمورابي على ربط جميع حكام الاقاليم به، ولتحقيق ذلك اهتم بنظام البريد السريع، ذلك النظام الذي ساعد حمورابي في ايصال أوامره إلى كافة أنحاء دولته بالسرعة المأمولة. (٣) **وعلاوة على ذلك، أصبح الجهاز الإداري في عهد حمورابي يضم عدد كبير من الوظائف، فكان هناك مدير مجلس المسنين (رابيانوم)، وحكام المقاطعات وجابي الضرائب ومسئوولو المدن، والمشرفون على الأملاك الملكية ومساعدوهم والمسئوولون عن عبيد الدولة، ثم مسئوول الشرطة ورسول الملك في الأمور الخاصة ومدير الرسوم ومسئوول التجارة.** (٤)

---

(١) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الأول، دار الوراق للنشر المحدودة، بيروت، ٢٠١٢م، ص٤٣٢-٣.

(٢) نفسه، ص٤٨١.

(٣) سامي سعيد الأحمد: *المرجع السابق*، ص٢٣.

(٤) سامي سعيد الأحمد: *المرجع السابق*، ص٢٣؛ أحمد أمين سليم: *المرجع السابق*، ص ٢٠٧.

واستمر النظام الإداري دون أية تعديلات خلال الفترة الكاشية وسلالة أيسن الثانية، فكانت البلاد مقسمة إلى عشرين مقاطعة على الأقل، لكل منها حكومة محلية مسئولة أمام الملك في بابل، وسميت كل مقاطعة إما باسم المدينة الرئيسية فيها مثل بابل، وإما باسم القبائل التي تقطنها مثل بيت سن ماكير.

وفيما يتعلق بالنظام الإداري في العصر الآشوري، فكان الملك على رأس هذا النظام، الذي يديره من قصره بالعاصمة المركزية، وكان له حكامه في المقاطعات الذين تقع على كواهلهم حفظ الأمن وتوزيع أسرى الحروب في مقاطعاتهم، إلى جانب ارسال ما يتجمع عندهم من الضرائب إلى العاصمة، وهم مسئوولون بشكل مباشر أمام الملك.

ويأتي بعد الملك في النظام الإداري " التورتان"، ويوازي منصبه في الوقت الحالي رئيس الوزراء، كما كان شاغل هذا المنصب بمثابة رئيس أركان الجيش، ثم يأتي بعد التورتان في الأهمية كبير السقاة (الراب شافي) ثم وكيل المؤونة (الرابي بابيري)، فحاجب القصر (الناكر ايكالي)، فرئيس الطباخين، فالمشرف على القصر.

أما النظام الإداري في المقاطعات الآشورية، فكان يأتي على رأسه المحافظ (الخازانو) ومجلس المسنين ومدير المدينة وكاتب المدينة والمراس والحاجب.

هذا وقد تعددت الوظائف في القصر الملكي، فكان هناك رئيس القصر وكاتب القصر وحرس الأمراء، وسائقى عربات الأمراء، وسائقى عربات وحدات الجيش وعربات الملك الخاصة ، والمشرفون على الاصطبلات الملكية، ثم

العـاملون فـي مختلـف مصـنوعات القصـر كالمنسـوجات والمفروشـات ، ثـم الأطباء والعرافون والمنجمون والموسيقيون. [1]

(1) سـامي سـعيد الأحمـد: *المرجـع السـابق*، ص٢٣؛ محمـد بيـومي مهـران، المرجـع السـابق، ص ٨٠-٨١؛ أحمد أمين سليم: *المرجع السابق*، ص ٢٠٧.

الفصل الثاني

الفـــكر الدينـــــــي

١. نشأة الفكر الديني العراقي القديم وخصائصه المميزة.

٢. الآلهة.

٣. بداية الخلق في الفكر العراقي القديم.

٤. الكهنة.

٥. العالم الآخر.

٦. المعابد.

الفصل الثاني

الفـــكر الدينـــــــي

١. نشأة الفكر الديني العراقي القديم وخصائصه المميزة.

بـــدات التصـــورات الدينيـــة الأولـــى عنـــد العراقـــي القـــديم فـــي المنـــاطق الشـــمالية مـــن بـــلاد الرافـــدين خـــلال الفتـــرة الممتـــدة مـــا بـــين عـــامي ٨٠٠٠-٥٠٠٠ ق.م، حيـــث كانـــت اقتصـــاديات هـــذه المنـــاطق تعتمـــد علـــى الزراعـــة المعتمـــدة علـــى ميـــاه الأمطـــار، لســـبب بســـيط هـــو أن أراضـــي هـــذه المنـــاطق متموجـــه ولا ينفـــع معهـــا اســـتخدام أنظمـــة الـــري، لـــذلك فقـــد انحســـر تركيـــز العراقـــي القـــديم فـــي هـــذه الفتـــرة علـــى عبـــادة الخصـــوبة، التـــي رمـــزوا إليهـــا بالـــدمي المصـــورة للآلهـــة الأم، فمـــا دامـــت كميـــة الأمطـــار كافيـــة لنمـــو الـــزرع فـــإن الإنتـــاج الـــوفير لا يتحقـــق إلا بتـــوفير الخصوبة للتربة. [١]

غيـــر أن انتشـــار الحضـــارات العراقيـــة منـــذ بدايـــة الألـــف الســـادس ق.م فـــي المنـــاطق الواقعـــة جنـــوب خـــط المطـــر قـــد أدى إلـــى زعزعـــة أركـــان تلـــك العقيـــدة، حيـــث إن أمطـــار هـــذه المنـــاطق كانـــت متذبذبـــة، وقـــد دفـــع هـــذا التذبـــذب إنســـان تلـــك المنـــاطق إلـــى العوامـــل الجويـــة المـــؤثرة علـــى المطـــر أكثـــر مـــن إهتمامـــه بالخصـــوبة، حيـــث لـــم يعـــد للخصـــوبة أهميـــة إذ كانـــت الأمطـــار غيـــر كافيـــة لنمـــو الـــزرع، وبالتـــالي فقـــد أدت هـــذه الظـــروف إلـــى نشـــأة فكـــرة دينيـــة جديـــدة تعتمـــد فـــي طقوســـها علـــى تقـــديس العوامـــل الطبيعية والنظر إلى الماء على أنه أساس الحياة . [٢]

---

(١) فـــوزي رشـــيد: المعتقـــدات الدينيـــة، حضـــارة *العـــراق*، الجـــزء الأول، بغـــداد، ١٩٨٥م، ص١٤٥-٦.

(٢) نفسه، ص١٤٦-٧.

وبالإضافة إلى ذلك، تاثرت هذه الديانة بالتحولات الإقتصادية والإجتماعية والتغيرات السياسية التي مر بها العراق القديم، فمع الإنتقال من مرحلة الصيد وجمع القوت إلى مزاولة الزراعة وتدجين الحيوان تطورت الديانة من الطوطمية إلى عبادة القوي الطبيعية ومن ثم إلى مبدأ التفريد أي خص إله ما بالتقديس والعبادة وجعله سيد لكل الآلهة.[1]

أما عن المظاهر المميزة للفكر الديني في بلاد ما بين النهرين فيأتي في مقدمتها صفة الاستمرار التاريخي، فالمعبودات التي التي عبدها العراقيون في العصور التاريخية المتأخرة هي نفسها المعبودات التي عبدوها في الأدوار القديمة، أما إذا وجدنا أي تغير فإنما يكون في علاقة الآلهة بعضها ببعض، والتي كانت تحدث وفقا للتغيرات السياسية، فمثلا لما قدر لمدينة بابل في عهد حمورابي أن تكون حاضرة دولته بعد أن كانت مجرد مدينة كسائر المدن الأخرى عظمت مكانة إلهها مردوخ.

ومن ناحية أخرى فقد قامت الديانة في العراق القديم على مبدأ تعدد الآلهة، وقد عمل الكهنة على تنظيم مجاميع الآلهة وتحديد العلاقات فيما بينها، فضلا عن تخصيص الوظائف والسلطات لكل منها، كما قسموا السماء إلى بروج وعينوا في كل منها الآلهة التي تقطنها، فأصبح لكل ظاهرة من ظواهر الكون المهمة، ولكل شأن من شئون الحياة إله خاص، فالمعرفة والحكمة إله، والشمس إله...إلخ.[2]

---

(1) برهان الدين دلو: *المرجع السابق*، ص٣٧٧.

(2) طه باقر: ديانة البابليين والآشوريين، *مجلة سومر*، المجلد الثاني، بغداد، ١٩٤٦م، ص٢-٤.

٢.الآلهة:

أطلق السومريون على كل إله صفة "دنجر" بمعنى إله، بينما أطلق الأكديون الساميون بعض الألقاب الربانية التي تساوي معنى إله مثل "بعل" بمعنى سيد، و"إيل" بمعنى الإله، [١] وفيما يلي عرض لأهم المعبودات التي سادت عبادتها في العراق القديم:

١.٢ الإله آنو

هو إله السماء عند السومريين، ويسمى بالسومرية "أن" بمعني السماء، وقد كان في البداية إلها محليا في مدينة الوركاء، ثم أخذت عبادته في الإنتشار منذ زمن جوديا، وصارت له معابد في أور ونفر ولجش وغيرها. [٢]

وقد كان آنو ابا لكل الآلهة، كما كان أيضا الملك والحاكم، ومن أجل ذلك اعتبروه النموذج الأول لكل حاكم، كما كان آنو يمثل السلطة، لذلك اعتبرت رموز السلطة (الصولجان والتاج ورباط الرأس) كلها مستمدة من آنو، وأنها نزلت من السماء إلى الأرض. [٣]

ونظرًا لأبوته لعدد من الآلهة الطيبة والشريرة، فقد اعتبره العراقيون القدامي السبب في معظم ما كان يصيبهم من خير أو شر، ومن ذلك مثلًا ما أخبرتنا به ملحمة جلجامش، حيث جاء فيها أن الإله آنو هو الذي خلق ثور السماء بناء على طلب الإلهة عشتار ليبث الرعب في نفوس البشر، وأن جلجامش ورفيقه أنكيدوا هما

---

(١) عبد المنعم محمد مجاهد: *الشرق الأدنى القديم: العراق- إيرن -شبه الجزيرة العربية*، مكتبة بستان المعرفة، كفرالدوار، ٢٠٠٩م، ص١٦٣.

(٢) سامي سعيد الأحمد: *المعتقدات الدينية في العراق القديم*، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، ٢٠١٣م، ص٢٣-٤.

(٣) عبدالحميد زيد: *المرجع السابق*، ص١٤٣.

اللذان أنقذا البشرية من شرور هذا الثور. ولا ريب في أن السبب في جعل الآله آنو يبدو في نظر العراقيين القدامى على أنه مصدر الخير والشر في وقت واحد يعود إلى أن السماء هي التي تحتضن العوامل الجوية التي تؤثر سلبًا أو إيجابًا على الإنسان وعلى موارده الغذائية ومصدر حياته.[1]

ورغم الدور الذي بلغه الإله آنو غير أنه تراجع بتراجع سومر عن المشهد السياسي والحضاري للعراق، ليخلفه الإله مردوخ، وبعد انطفاء مردوخ لمع نجم الإله آشور في الوقت الذي أصبح فيه الآشوريون يسيطرون على مقاليد الحكم في العراق. [2]

٢.١٢الإله انليل:

يأتي بعد آنو في المنزلة والمرتبة، وهو يمثل الجو والهواء كما يدل على ذلك اسمه، حيث يتكون اسمه من مقطعين: أولهما"أن" وتعني السيد، وثانيهما "ليل" وتعني الريح أو الهواء فيكون معنى اسمه سيد الريح. [3] **وتلقب هذا الإله بعديد من الألقاب، والتي منها سيد الأقطار، وأبو الآلهة، كما تلقب بالإله الذي يقرر المصائر وبالإله الذي يمتلك بين يديه ألواح القدر.**

وعلاوة على ذلك، فقد كان انليل هو الإله الذي ينزل العقاب على الملوك إذا ما ظلموا، إلى جانب قيادته للآلهة أثناء الحرب، فهو يمثل القوة والبطش، كما تشير الملاحم الخاصة بخلق

---

(١) فوزي رشيد: *المرجع السابق*، ص ١٥١.

(٢) سامي أبو شقرا: *موسوعة الأديان*، الجزء الأول، دار الاختصاص للنشر، بيروت، ١٩٨٩م، ص٨٤.

(٣) بلخير بقة: *أثر ديانة وادي الرافدين على الحياة الفكرية سومر وبابل ٣٢٠٠-٥٣٩ ق.م*، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، ٢٠٠٩م، ص٤٣.

الكون بأن الإله انليل هو الذي قام بفصل السماء عن الأرض، وهو الذي خلق الفأس أداة العمل. [١]

كما يعتبر إنليل في الفكر العراقي القديم الإله الذي تسبب في حدوث الفيضان الذي أباد كل البشر باستثناء الذي انقذهم "أوتونابشتم" في سفينته، وينسب إليه البابليون زوجة هي ننليل، وله سبعة أولاد يمثلون حراس أبواب الأرض السفلى، وكانت مدينة نفر هي مقر عبادته. [٢]

٣.٢ الإله انكي (أيا):

هو إله الأرض وإله المياه الجوفية، ويأتي في المرتبة الثالثة في مجموعة الآلهة الرافدية، ويعني اسمه سيد الأرض، فهو خالق العالم وسيد القدر، كما كان يمثل إله الحكمة، وكانت الآلهة تستشيره في المواقف الصعبة، وتطلب منه النصح والمساعدة. [٣]

كما يعد الإله الذي خلق الإنسان بتشكيل كتلة من الطمي منحها الحياة، وذلك عندما طلبت منه الإلهة الأم خلق بشر يعبد الآلهة ويعمر الأرض، [٤] **فضلا عن أنه الإله الذي انقذ نسل البشرية من دمار محقق، وذلك عندما أنذر"أوتونابشتم" بعزم الآلهة على إحداث الطوفان وأمره أن يصنع الفلك .**

وكانت مقر عبادته في مدينة أريدو، واطلق على معبده اسم " أي –أبسو" بمعنى بيت المياه، كما كان له عدة معابد أخرى في

---

(١) تقي الدباغ: آلهة فوق الأرض: دراسة مقارنة بين المعتقدات الدينية القديمة في الشرق الادنى و اليونان، *مجلة سومر*، المجلد ٣، ١٩٦٧م، ص١٠٤؛ طه باقر: المرجع السابق، ص١٦.

(٢) نفسه، نفس الصفحة.

(٣) فوزي رشيد : *المرجع السابق*، ص١٥٥؛ سامي سعيد الأحمد: *المرجع السابق*، ص٢٧.

(٤) سيد القمني: *قصة الخلق أو منابع سفر التكوين*، د.م، د.ت، ص٣٣-٥.

لارسا ولجش وبابل، فضلا عن معبده في مدينة السوس في عيلام، وينسب إليه البابليون زوجة هي" دامكينا"، ويؤلف الإله آنو والإله أنليل والإله أنكي الثالوث المقدس الأول في مجموعة الآلهة البابلية.[1]

٤.٢ الإله دوموزي:

هو الإله الذي جسد الخصب في الطقوس السومرية والبابلية، ويعني اسمه عند السومريين الابن الشرعي، وقد تلقب بالثور الوحشي، وهو عشيق وزوج الإلهة انانا المنفية في العالم الآخر.[2]

٥.٢ الإله مردوخ:

هو إله مدينة بابل الرئيس، ومعنى اسمه باللغة السومرية " عجل الشمس، وقد ظهر اسمه منذ عصر ميسيليم ٢٦٠٠ ق.م، أما ارتباط اسمه بمدينة بابل واتخاذها له كإله رئيس فقد حدث ذلك منذ عصر أسرة أور الثالثة.

ويعد مردوخ ابنا للإله انكي على الرغم من أن المعنى الذي يتضمنه اسمه يشير إلى علاقته بالإله شمش أكثر من علاقته بالإله انكي. وقد ارتفع شأنه في عصر البابليين، وأوكلت إليه كثير من المهام، فهو إله الحكمة وطارد الأرواح الشريرة، وشافي الأمراض، وسيد القنوات والحقول والمجلب للضياء والإله الحاكم.[3]

---

(1) طه باقر: *المرجع السابق*، ص١٦.

(2) بلخير بقة: *المرجع السابق*، ص٤٨.

(3) نفسه، ص ٤٦-٧.

٦.٢ الإله سين:

هو إله القمر عند السومريين والبابليين، وعرف أيضا باسم "ننار" ومعناه "رجل السماء" وكان يقيس الزمن ورقمه الحسابي ٣٠ ذلك الرقم الذي يمثل الشهر تمثيلا كاملًا فهو بذلك سيد الشهر، وخص إله القمر بمدينة أور منذ أقدم العصور.

وقد اشتهر سين بالحكمة ويشترك مع إله الشمس شمش في شؤون العدالة، وقد اعتقد البابليون أن خسوف القمر يحدث نتيجة هجوم سبعة شياطين أو أرواح شريرة على القمر لذلك كانوا يصلون للإله سين عند الخسوف ويقدمون القرابين له حتى يظهر مضيئاً مرة أخرى بعد أن يقهر الشياطين والظلام أي الموت.

ويمثل الإله القمر بهلال وحده أو بهلال مع صورة هيئة البشر، وقد خصصوا له زوج هي ننغال(السيدة العظمى) التي عبدت معه في معبد أور. وقد انتشرت عبادة سين من أور إلى كل كلديا ، فضلا عن انتشار عبادته في مدينة حران السورية، ومنها إلى فينقيا. [١]

٧.٢ الإله شمش:

هو ابن الإله سن، وذلك لأن البابليين اعتقدوا أن النهار يتولد من الليل، وعلى ذلك فتكون الشمس بنت القمر، وقد تصور البابليون شمش آتيا في كل صباح من وراء الجبال العظيمة، فتفتح أبواب السماء للإله شمش، الذي سرعان ما يسري في الليل ويختفي في الأرض السفلى.

---

(١) برهان الدين دلو: *المرجع السابق*، ص٣٨٦.

كما يعد شمش القاضي الأعظم ومصدر الشرائع والعدل، وله ابنان العدل" كتو" والحق" ميشارو"، وشمش في نظر البابلييين الإله الذي أملى على الملك حمورابي وغيره من الملوك المشرعين شرائعه.

وقد صوره القوم على هيئة شيخا ذا لحية تخرج من كتفيه نار وبيده منجل أو منشار إشارة إلى كونه الفاصل أو القاطع بين الحق والباطل،[١] وكثيرًا ما مثل برمز قرص ذي أربعة خطوط تنبعث منها حزم الأشعة. [٢]

وقد شيد له معبد عرف باسم" أي-ببار" واحد في لارسا والآخر في سبار، وقد عُبد هو والإله سن في معبد واحد في آشور، وينسب له زوج هي "آي" [٣]

٨.٢ الإله أدد:

يأتي بعد الإله شمش ويمثل الرعد والبرق والرياح والزوابع، ومن اسمائه بالسومرية "مير" أو "مور"، بينما عرفه الساميون باسم ادد أو "رمان"، ويرجح أن أصل عبادته كانت في سوريا وفلسطين، وقد صُور ماسكا بيده حزمة البرق، ويعزي ذلك لأنه يمثل الأنواء الجوية، أما موقع عبادته فقد ورد باسم"بيت كركار" الذي لم يتحدد موقعه بعد، لكن هذا لا يمنع وجود معابد أخرى له، مثل معبده في بابل وفي بورسبا، كما كان له معبد في حلب، وزوج أدد تدعى " شاله" وهي إلهة الجبال والثلوج. [٤]

---

(١) طه باقر: *المرجع السابق*، ص١٨.

(٢) كامل سعفان: موسوعة الأديان القديمة، الطبعة الأولى، دار الندى، مدينة نصر، ١٩٩٩م، ص٦١.

(٣) طه باقر: *المرجع السابق*، ص١٨.

(٤) نفسه، نفس الصفحة.

٩.٢ الإلهة عشتار:

عرفت عند السومريين باسم "اينانا" بمعنى سيدة السماء، في حين أطلق عليها الأكديون والآشوريون اسم عشتار، بينما عرفها بعض الساميين في سوريا باسم "عشتاروت وعشتوريت"، فعبادتها بذلك لم تقتصر على أنحاء العراق فحسب بل امتدت إلى سوريا ومنها إلى بلاد الأغريق، وسميت هناك " أفروديت"، ثم انتقلت بعد ذلك إلى روما، حيث قدسها الرومان وسموها فينوس. [١]

وتعد عشتار إلهة الخصب عند العراقيين القدامي، لذا رسمها الفنانون في العراق القديم على الأختام الأسطوانية وهي تجلس على كومة من الحبوب أو تمسك بالمحراث، غير أن أبرز الصفات التي اشتهرت بها كونها إلهة الحب والجمال والجنس[٢].

كما تتمثل عشتار في كوكب الزهرة، وهي ابنة إله القمر، وقد خصها الآشوريون بالتقديس والعبادة، لأنها تمثل عندهم إلهة الحرب والطعان، وقد نعتت باللبوءة الضارية، ولقد اتخذها تموز زوجة له، غير أن حبها قضى عليه، لذا كانت تندبه، وتمثَّل تموز في خضرة الربيع.[٣]

١٠.٢ الإله نرجال:

هو إله الارض السفلى، حيث توجد أرواح الموتى، وعرف باسم ميسلا مترا (الذي قدم من مسلام) وكانت زوجته تدعي " إيرشكيجال، إلهة العالم السفلي التي سميت سيدة الأرض العظمى.

---

(١) عبدالحميد زايد: *المرجع السابق*، ص١٤٧.

(٢) فاضل عبدالواحد علي: عشتار وتموز: جذور المعتقدات الخاصة بهما في حضارة وادي الرافدين، مجلة سومر، العدد، بغداد، المجلد ٢٩، ١٩٧٣م، ص٥١.

(٣) كامل سعفان: *المرجع السابق*، ص٦٢.

وقد شيد له الملك سنحاريب عدة معابد في شمال العراق، كما كان له مركز في معبد أنليل بنفر، ووصلت عبادة هذا الإله إلى بعض المدن السورية لاسيما ماري. [1]

١١.٢ الإله آشور:

يعد الإله القومي عند الآشوريين، فمن وجهة النظر الرسمية كانت تصدر باسمه كل القوانين والقرارات التي تمثل إرادته الملكية، كما كانت تجمع الضرائب لخزانته، وتشن الحروب لتأتي له بالمجد والمغانم، وكان يعبد في جميع المدن الآشورية.

ومن الألقاب التي منحت للإله آشور لقب "الجبل الكبير"، و"سيد البلدان"، و"سيد جبال حمرين"، و تعددت زوجاته، والتي منها المعبودة عشتار والمعبودة التي وردت في النصوص بصيغة "شب يروا".وقد لعب في الأساطير الدينية دور البطل في قصة الخليقة التي اعيدت كتابتها، حيث استعاض عن المعبود مردوخ بالمعبود آشور. [2]

هذا وقد كان يرمز للمعبود آشور بالقرص المجنح، فهو يمثل عادة على المشاهد الفنية على هيئة بشرية ماسكا بيده القوس والسهم، وقد وضع داخل قرص دائي (قرص الشمس) ينبعث من جناحيه على الجانبين، كما ظهر المعبود آشور على المشاهد الفنية بهيئة إله مدجج بالأسلحة. [3]

---

(١) نفسه، نفس الصفحة؛ سامي سعيد الأحمد: *المرجع السابق*، ص٣٧-٨.

(٢) ذيار صديق رمضان: دور المعبود آشور في الحملات العسكرية الآشورية (٩١١-٦١٢ ق.م)، *مجلة التربية والعلم*، المجلد ١٨، العدد ٤، ٢٠١١م، ص٢٣٣.

(٣) نفسه، نفس الصفحة.

٣. بداية الخلق في الفكر العراقي القديم:

١.٣ بداية الخلق في الفكر السومري:

على الرغم من عدم وجود أسطورة سومرية متكاملة تتحدث عن بداية الخلق والتكوين، فإن النصوص المتفرقة التي تم العثور عليها، والمتعلقة بأمور الخلق والتكوين، تكاد تعطي صورة واضحة عن أفكار السومريين بهذا الشأن، حيث تشير هذه النصوص الأسطورية إلى أن عملية الخلق والتكوين مرت بالتسلسل التالي:

١. في البدء كانت الإلهة "نمو" ولا أحد معها، وهي المياة الأزلية التي انبثق عنها كل شيء.

٢. انجبت الإلهة نمو ولدًا يعرف باسم "آن" إله السماء المذكر، وبنتًا تعرف باسم "كي" إلهة الأرض المؤنثة، وكانا ملتصقين مع بعضهما وغير منفصلين عن أمهما "نمو".

٣. ثم تزوج "آن " من أخته "إنكى " وأنجبا بكرهما (أنليل) إله الهواء، الذي كان بينهما في مساحة ضيقة لا تسمح له بالحركة، فقام بقوته الخارقة بأبعاد أبيه عن أمه، حيث رفع الأول فصار سماءً ، وبسط الثانية فصارت أرضاً.

٤. غير أن "أنليل " كان يعيش في الظلام الدامس، فأنجب "أنليل " ابنه "نانا" إله القمر، ليبدد الظلام في السماء وينير الأرض، [١] ثم انجب نانا بعد ذلك ولدًا وبنتًا، فأما الولد فهو الإله "أوتو" إله الشمس، وأما البنت فهي الإلهة إنانا إلهة نجم الزهرة. [٢]

---

(١) فراس السواح: *مغامرة العقل الأولى: دراسة في الأسطورة- سورية وبلاد الرافدين*، الطبعة الحادية عشر، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٦م، ص ٣٢-٣.

(٢) نعيم فرح: *موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم (السياسى والاجتماعي والاقتصادى والثقافى)*، دار الفكر، دمشق، (د.ت)، ص ٤٤.

٥. وبعد أن فصلت السماء عن الأرض، وصدر ضوء القمر الخافت، وضوء الشمس الدافئ، قام الإله "أنليل " مع بقية الآلهة بخلق مظاهر الحياة الآخرى. [١]

وإذا جردنا هذه الأسطورة من رموزها ومفرادتها الميثولوجية، وترجمناها إلى لغتنا العلمية الحديثة، يتضح لنا أن هذه الأسطورة تتطابق في بعض جوانبها مع بعض النظريات العلمية الحديثة، فولادة القمر من الهواء لا تبعد كثيرًا عن النظريات القائلة بتشكل الأجرام السماوية من السحب الغازية، كما إن صدور الأشياء عن المياه الأولى لا يبتعد عن الاكتشافات العلمية المتعلقة بنشأة الحياة وتطورها ابتداء من البحر. [٢]

٢.٣ بداية الخلق في الفكر البابلي:

تعد أسطورة الخليقة البابلية خير ما يعبر عن معتقدات سكان وادي الرافدين بوجه عام حول خلق الكون، وتعرف هذه الأسطورة باسم "الأنيوما إيليش"، وقد دونت على سبعة ألواح طينية تم العثور عليها في مكتبة آشور بانيبال، وتحتوي على ألف بيت تقريبًا، واسبغت عليها صفة القدسية (الكتاب الديني)، إذ كانت تتلى أثناء احتفالات رأس السنة في مدينة بابل، وعلى مدى حوالي ألف عام. [٣]

وتشير هذه الأسطورة إلى إنه لم يكن في البدء سوى المياة المكونة من عنصرين: أولهما مذكر (المياه العذبة)، وتسمى "ابسو"، وثانيهما مؤنث (المياه السطحية) وتسمى تيامه، وإنه نتيجة لامتزاج

---

(١) فراس السواح: *المرجع السابق*، ص ٣٣.

(٢) نفسه، نفس الصفحة.

(٣) بلخير بقة: *المرجع السابق*، ص٧٣.

الميـــاه مـــع بعضـــها ولـــدت الآلهـــة، والتـــي منهـــا الإلـــه " آنـــو" إلـــه السماء.[١]

ومـــا لبـــث أن تكـــاثر عـــدد الآلهـــة وأخـــذ ضـــجيجها يـــزعج جـــدهم الأكبـــر أبســـو، لـــذا بـــدا يفكـــر فـــي القضـــاء علـــيهم، بيـــد أن تيامـــة عارضـــته، وقالـــت كيـــف يجـــوز لنـــا أن نقضـــي علـــى شـــيء خلقنـــاه بأنفســـنا؟، ومـــن ناحيـــة أخـــرى فـــإن وزيـــر أبســـو المـــدعو "مومـــو" اتفـــق مـــع ســـيده فـــي الـــرأي، وأخـــذ الإثنـــان يضـــعان خطـــة للقضـــاء علـــى تلـــك الآلهـــة الحديثـــة، ولكـــن ســـرعان مـــا اكتشـــفت الآلهـــة المـــؤامرة وقـــررت الـــدفاع عـــن نفســـها، فقتلت الإله أبسو على يد الإله أيا. [٢]

ولمـــا علمـــت " تيامـــة بـــذلك ثـــارت ثائرتهـــا، وعقـــدت العـــزم علـــى الانتقـــام لزوجهـــا مـــن الآلهـــة الحديثـــة، فســـلطت علـــيهم الزواحـــف والكواســـر، واســـتعانت علـــيهم بمعبـــود قـــديم يـــدعو " كنجـــو" أغرتـــه بنفســـها وعهـــدت إليـــه بـــألواح المقـــادير،[٣] فلمـــا علمـــت الآلهـــة بـــذلك أرســـلت الإلـــه "أيـــا" لإنقـــاذهم للمـــرة الثانيـــة، لكنـــه عـــاد مـــذعورا ممـــا رأي، فمـــا كـــان مـــن الآلهـــة إلا أن أختـــارت المعبـــود مـــردوخ لقتـــال تيامـــة، وأرتضـــوه ملكـــا عليهم. [٤]

وقبـــل أن يمضـــي مـــردوخ لقتـــال الإلهـــة "تيامـــة" تســـلح بـــالقوس والســـهام والصـــولجان، وصـــنع شـــبكة كبيـــرة، وأمـــر الريـــاح أن تمســـكها مـــن أطرافهـــا، وأثنـــاء المواجهـــة نجـــح فـــي نشـــر شـــبكته علـــى تيامـــة، واطلـــق عليهـــا الريـــاح الشـــيطانية، فانتفخـــت وامتنعـــت عـــن الحركـــة، فوجـــه

---

(١) فاضـــل عبـــد الواحـــد علـــي: المعتقـــدات الدينيـــة، *موســـوعة الموصـــل الحضـــارية*، المجلـــد الأول، الطبعة الأولى، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩١م، ص ٣١٥.

(٢) بلخير بقة: *المرجع السابق*، ص٧٤.

(٣) رمضان عبده علي: *المرجع السابق*، ص٣١٩.

(٤) بلخير بقة: *المرجع السابق*، ص٧٤

سهامه إلى أحشائها، ثم شقها إلى شطرين، خلق منهما السماء والأرض، ثم قام ببباقي عمليات الخلق، فخلق النجوم والشمس والقمر وحدد مسارها، ثم خلق الإنسان من دماء كينجو بعد أن أخذ منه ألواح القدر، وخلق الحيوان والنبات ونظم الآلهة في فريقين: أولهما في السماء وهم الأنوناكي، وثانيهما جعله في الأرض وما تحتها وهم الايجيجي. [١] **وعلى هذا يكون الإله مردوخ هو البطل الذي انتصر على قوى الشر المتمثلة بتيامة وجيوشها، وأنقذ الآلهة من شرورها.** [٢]

وتعقيبًا على ما جاء في هذه الأسطورة يمكن أن نستخلص بعض النتائج الآتية:

أولاً: تطغى على هذه الأسطورة صيغة الشرك أي تعدد الآلهة التي هي من أبرز ما تميز به الدين البابلي، فنجد في الأسطورة أجيال من الآلهة تتابع في الولادة من الإلهين الأبوين. [٣]

ثانيًا: تتفق هذه الأسطورة مع الأسطورة السومرية في الجوهر، وإن اختلفت معها في التفاصيل، فهي الأخرى تعد المياه أصل الوجود، وتعد خلق الكون قد تم نتيجة عملية انشطار أيضا، [٤] **كما إننا نجد هذه الفكرة في سفر التكوين العبراني" في البدء خلق الرب السماوات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الرب يرف فوق وجه الماء" .**

---

(١) فراس السواح: *المرجع السابق*، ص ٥٤-٥.

(٢) فاضل عبد الواحد علي: *المرجع السابق*، ص ٣١٥.

(٣) طه باقر وبشير فرنسيس: نصوص من الأدب العراقي القديم(الخليقة وأصل الوجود)، *مجلة سومر*، الجزء الأول، ١٩٤٩م، ص٧.

(٤) فاضل عبد الواحد علي: *المرجع السابق*، ص ٣١٥.

ثالثًا: تعكس هذه الاسطورة المكانة التي نالها الإله مردوخ في عصر الدولة البابلية، حيث رفعته من ابن للآلهة إلى سيد مطلق لها، وربما يحملنا ذلك إلى القول بأن سيرة مردوخ في الملحمة ليست إلا انعكاسًا لسيرة الملك البابلي وترسيخًا لسلطانه، فما يحدث على مستوى الأسطورة تأسيس لما يجب ان يحدث على مستوى الواقع، وهو سيادة بابل المطلقة على كل الأراضي العراقية. [١]

٤ .الكهنة:

كان الملك الكاهن الأكبر في البلاد، وهو نائب الإله على الأرض، وكان كبار كهنة المعابد المهمة شخصيات لها قدرها فكان يتطلع إلى شغل مراكزهم أبناء ملوك. [٢]

ولم تقتصر مهنة الكهنة في العراق القديم على الأمور الدينية فحسب، بل كان لهم مهام ثقافية تتمثل في استنساخ المؤلفات الدينية والأدبية من النصوص الأصلية، كما كانت لهم مهام تعليمية، وهي تعليم الآخرين فنون الخط المسماري وقواعد اللغة، وعلاوة على ذلك، اختص بعض الكهنة بإدارة شئون المعابد وأملاكها وارداتها [٣]

وكان رجال الكهنوت ينقسمون إلى عدة درجات، وفيما يلي سنتناول نماذج من هذه الدرجات الكهنوتية:

١.٤ الكاهن الأكبر:

يمثل أعلى مرتبة في السلم الكهنوتي، ولذلك كان شاغلها يختار من الأسر الملكية أو ما يوازيها في المكانة الإجتماعية، وكان

---

(١) فراس السواح: *المرجع السابق*، ص ٩٣، ٩٥.

(٢) برهان الدين دلو: *المرجع السابق*، ص٣٨٩.

(٣) فاضل عبد الواحد علي: *المرجع السابق*، ص ٣٠٩.

يُعرف في اللغة السومرية باسم "اين"، وهي تسمية تطلق على المذكر والمؤنث، حيث إن اللغة السومرية لا تميز بين الجنسين، أما اللغة الاكدية فقد لفظت الكلمة "أينوم" إن كان المقصود بها الكاهن و"اينتوم" إن كان المقصود الكاهنة. [1]

وكان منصب الكاهن الأكبر في العصر الشبيه بالكتابي (دور الوركاء ودور جمدة النصر) مزيجا من السلطتين الدينية والدنيوية، وإن انفصلت السلطة الدينية فيما بعد بظهور لقب انسي الذي صار يحكم دويلة المدينة.

وكان ينظر إلى الكاهنة العظمى على أنها زوجة للإله، ولذلك حرم عليها الزواج، ثم سمحت لها شريعة حمورابي بعد ذلك بالزواج بشرط عدم إنجاب الأطفال، وقد جرت العادة عندما يكون المعبود الخاص بالمعبد إلها أن تكرس له كاهنة عظمى لتكون زوجة له من الوجهة الدينية والعكس صحيح، فعندما يكون المعبود إلهة يكرس لها كاهن أعظم. [2]

٢.٤ السحرة:

أطلق على الساحر في اللغة السومرية اسم " ماشماش"، بينما أطلق عليه في اللغة الأكدية اسم "أشيبو"،[3] و كانت مهمته استعطاف الآلهة، وطرد الأرواح الشريرة، و تطهير المرضى عن طريق الرقي السحرية، حيث كانت الأمراض في اعتقادهم ليست بسبب عضوي، بل هي من أرواح خبيثة يجب القضاء عليها عن طريق تلاوة التعاويذ.

([1]) فوزي رشيد: *المرجع السابق*، ص ١٩٠-٢.

([2]) رشيد عبد الواحد علي: *المرجع السابق*، ص ٣٠٩-٣١٠.

([3]) عبد المنعم محمد مجاهد: *المرجع السابق*، ص١٢٧.

وكان الساحر يستخدم إلى جانب التعاويذ أدوات أخرى معنوية يستعين به على تحقيق الشفاء، منها تقديم الصلوات للمعبودات وسكب السكائب وتقديم الأضاحي، [١] أو تصنيع دمية من الشمع تشبه المريض وتدفن في المقبرة مع دمية أخرى تمثل الروح الشريرة التي يعتقد أنها سببت له المرض، وكان الغرض من هذه العملية هدفين: أولهما القيام بدفن رمزي للروح الشريرة لإعادتها إلى مقر الأموات في العالم السفلي، وثانيهما ايهام الأرواح الشريرة بأن المريض قد مات وانتهى أمره. [٢]

٣.٤ المنجمون والعرافون:

كان العراف يعرف في اللغة السومرية بعدة تعابير، منها ايزو، ولوحال، وماش شو جد جد، أما في اللغة الأكدية فيسمى العراف باسم بارو، وتسمى العرافة باسم بيرو، ويسمى كبير العرافين باسم "راب باري".[٣]

وكانت مهمته التنبؤ بالمستقبل وقراءة البخت بواسطة مراقبة النجوم والظواهر الطبيعية أو النظر في أكباد الحيوانات، حيث كان من المعتقد أن الكبد مركز الحياة، فهو يسمح للمرء أن يرى فيه نوايا الإله الذي تقبل الحيوان المضحي كتقدمة. [٤]

ومن الطرق أيضا دراسة انتشار نقطة من الزيت على سطح الماء، فإذا تكونت حلقة كاملة واتجهت نحو الشرق كان ذلك فلًا

---

(١) برهان الدين دلو: *المرجع السابق*، ص٣٨٩.

(٢) فاضل عبد الواحد علي: العرافة والسحر، حضارة *العراق*، الجزء الأول، بغداد، ١٩٨٥م، ص ٢٠٤-٥ .

(٣) عبد المنعم محمد مجاهد: *المرجع السابق*، ص١٢٧.

(٤) برهان الدين دلو: *المرجع السابق*، ص٣٨٩.

حسنًا، أما إذا انكسرت هذه الحلقة وانتشر الزيت فوق الماء بشكل عشوائي كان ذلك نذير شؤم لطالب العرافة. [١]

هذا وقد كانت معرفة الغيب أمرًا مهمًا ليس فقط في حياة الأفراد فحسب، بل في الأمور العامة كذلك، فلم يكن الملك يقبل على أمر مهم دون استشارة العراف لمعرفة مشيئة الآلهة بخصوص هذا الأمر، وكانت مهام المنجم وراثية ويجب ألا يكون فيه عيب جسماني. [٢]

٤.٤ المغنون والمرتّلون:

هم المسؤولون عن تلاوة التراتيل والأناشيد المقدسة والغناء بمصاحبة الموسيقى خاصة الطبل، [٣] **ويعرف الكاهن الذي يناط به أن يخفف الغضب عن قلوب الآلهة بغنائه باسم " كالو" ويدعى كبير كهنة الكالو باسم " كلاماه"، وكان من اختصاصات هذا الكاهن ممارسة طقوس التضحية عقب إعلان الفأل.** [٤]

٤.٥ الكاهنات:

كانت أصناف الكاهنات في المجتمع العراقي القديم تضم مختلف الشرائح بدءا بالأميرات مرورا ببنات الأسر المتواضعة الحرة، وكانت مراكز تلك الكاهنات تختلف تبعا لإمتيازاتهن ودرجاتهن الدينية من معبد إلى آخر، ومن مكان إلى آخر.

---

(١) هيثم أحمد حسين عبو الجواري: *نصوص الفأل البابلية في ضوء المصادر المسمارية*، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الموصل، ٢٠٠٥م، ص٨

(٢) برهان الدين دلو: *المرجع السابق*، ص٣٨٩.

(٣) سامي سعيد الأحمد: *المرجع السابق*، ص٥٢.

(٤) برهان الدين دلو: *المرجع السابق*، ص٣٩٠.

وتأتي كاهنة الاينتوم في أعلى درجات النظام الكهنوتي، وكان يتم اختيارها باستخارة الفأل، أما تكريسها فكان يتم بإرادة ملكية كما هو الحال بالنسبة للكاهن الأكبر، وتتمثل أهم واجبات هذه الكاهنة في القيام بدور العروس في طقوس الزواج المقدس سنويًا مع الملك الذي يمثل الكاهن الأعلى. (١)

وتأتي كاهنة النـاديتوم بعد كاهنة الاينتم من حيث المركز الديني في المعبد، ويعني اسمها (المرأة التي تحمل القوة الالهية)، وكان هذا النوع من الكاهنات يتم نذرهن إلى المعبد منذ الولادة، وشغلت هذا المنصب بنات كبار موظفى الدولة، وكان يسمح لهن بالزواج بشرط عدم إنجاب الأطفال.

وكانت تعيش في ال(ككوم) والذي يمكن أن نشبه بالدير، وموقعه داخل المعبد الرئيس للمدينة، وعلى الرغم من وجود الككوم، فإن بعض كاهنات النـاديتوم كانت تعيش خارجه، ولكن لا يحق لهن غير القيام بالأعمال المسموح بها، وإلا فإن عقوبتهن الحرق.

كما كان هناك درجات أخرى من الكاهنات مثل شوكيتم التي كان من أهم واجباتها المساهمة في مراسم الزواج المقدس، وبخاصة مرافقة العروس ليلة الزفاف، وهي تتزين بأجمل ملابسها وحليها، وكان يحق لها الزواج وإنجاب الأطفال. (٢)

وتأتي بعد كاهنة شوكيتم في المنزلة كاهنة قادشتم، والتي كثيرا ما أشارت النصوص إلى عملها بوصفها مرضعة، كما كان هناك

---

(١) وسناء حسون يونس حسن الأغا: المرأة في حضارتي العراق ومصر القديمتين، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٩م، ص ١٠٤-١٠٥.

(٢) فوزي رشيد: *المرجع السابق*، ص ١٩٢.

نوع أخر من الكاهنات يعرف باسم كلمشتم، وقد اختص دور كل واحدة منهن بأمور العزف وترتيل الأناشيد، وكان يحق لهن الزواج وإنجاب الأطفال ، ولم يفرض عليهن السكن في المعبد. [١]

٥.العالم الآخر:

لم يعتقد العراقيون القدامى في الفناء المطلق، حيث تصوروا أن الكائن الحي ينقسم إلى جزئين، هما الجسد والروح، فإذا مات الإنسان انفصلت روحه عن جسده ودخلت في دائرة جديدة هي عالم الأرواح السفلى، وتبقى هناك إلى مالا نهاية. [٢]

كما تصور القوم أن ترك الجثة في العراء يتسبب في عدم راحة واستقرار الروح في عالم الأموات، بل وخروجها أحيانا على شكل أشباح تخيف الأحياء من الناس، وتسبب لهم مختلف الأمراض الجسمية والعقلية، ولهذا أكد رجال الدين على ضرورة الإهتمام بشعائر دفن الموتى. [٣]

وعلى الرغم من أن العراقيين لم يعتقدوا في البعث مثلما هو الحال في مصر الفرعونية، فإنهم قد اعتنوا بتهيئة قبر الميت، وتطور بناء القبر، ففي سبار منذ الألف الثالث ق.م كان يوضع الميت على ظهره داخل بناء مستطيل الشكل من الطوب ومعه أواني من الطين والبرونز، ثم ما لبث أن تطور الآثاث الجنازي فأصبح يتضمن أشياء كثيرة منها السكاكين والموازين، وكانت تقدم القرابين

---

(١) وسناء حسون يونس حسن الأغا: *المرجع السابق*، ص١٠٨.

(٢) عبدالحميد زيد: *المرجع السابق*، ص١٤٠.

(٣) فاضل عبد الواحد علي: *المعتقدات الدينية*، ص ٣١٦.

كل شهر، وربما كانون يهدفون من وراء ذلك إلى اتقاء الأذي الذي يحتمل أن يلحق به أكثر منه تكريما له. [1]

ووصف العراقيون عالم الأموات بأنه عالم مخيف، وكأنه مدينة تحت الأرض، ولها سبع بوابات، على كل منها شيطان مارد، وتصوره أيضا مكانا مظلما لا يجد الموتى فيه غير التراب "مؤنا لهم"، وتقوم آلهة قاسية بالحكم في هذه المدينة، وطالما أن أهل الرافدين لم يؤمنوا بالبعث فلم يعتقدوا في الثواب والعقاب الأخروي، ومع ذلك فيبدو من إحدى الأساطير السومرية أن كثرة الأبناء كان سببا في إنزال الموتى من الآباء منزلة حسنة؛ ربما لما يقدمه أبناؤهم من قرابين. [2]

٦. المعابد:

لعب المعبد دورا دينيًا ودنيويًا مهمًا في العراق القديم، حيث كان مركزا للقضاء، كما كان مركزا اقتصاديا، فيدع الناس فيه مدخراتهم، ويقوم المعبد في الوقت ذاته بإعارة ما يحتاجه الناس، وهذا يفسر لنا مدى السجلات العديدة التي عثر عليها في المعابد العراقية القديمة، والمتعلقة بالمداينات والإيداع. وبالإضافة إلى ذلك، كان المعبد مركزا لحفظ الوثائق، ومنارًا يشع منه العلم ويتلقى فيه الناس بعض الآداب والعلوم، وألحق بكل معبد مكتبة يحفظ فيها سجلات الآداب والعلوم المختلفة. [3]

وقد ظهرت المعابد في العراق القديم منذ عصور ما قبل التدوين، فقد وجد المنقبون معابد يعود تاريخها إلى عصر تل حلف،

([1]) عبدالحميد زيد: *المرجع السابق*، ص١٤٠.

([2]) فاضل عبد الواحد علي: *المرجع السابق*، ص ٣١٦.

([3]) عبدالحميد زيد: *المرجع السابق*، ص١٥٢.

ووجدوا معابد كذلك في تبه كورا (قرب الموصل) من عصر العبيد، واستمر ظهور المعابد في العصور التاريخية التالية . [١]

ويتكون المعبد في العراق بصفة عامة من قسمين رئيسيين: أولهما هو المعبد الأرضي الذي يقام على أرض مستوية، ويضم الهيكل والمحراب الذي يوضع فيه تمثال الإله، ودكة المذبح التي تقدم عليه الأضاحي، كما كان هناك غرف ومرافق أخرى تستعمل لإقامة الكهنة ولخزن الأدوات والأثاث الخاص بالمعبد مثل الطعام وأدوات الموسيقى وغيرها[٢]

أما القسم الثاني فهو المعبد العلوي أي البرج المدرج (الزاقورة)، والذي كان يتكون من ثلاث أو سبع مدرجات، ويقام فوق الطبقة العليا مزار، وقد كان للزقورة (المعبد العلوي) ثلاثة سلالم، وأحيطت بحجرات وسور، [٣] **وتشبه الزقورة في مظهرها الخارجي أهرام مصر المدرجة، غير أن المشابهة لا تعدو المظهر الخارجي، إذ أن الغاية في كل منهما مختلفة، لأن الهرم المصري يضم في داخله حجرة الدفن، أما الزقورة فهي بناء مصمت صلد ليس في داخله شيء، وإنما كانت العادة أن يشيد فوقها معبد صغير.**

وفي الواقع لقد اختلف الباحثون في الهدف من وراء بناء الزقورة، حيث ذهب بعض الباحثين إلى أن الزقورة بمعبدها العلوي تمثل محلا لاستراحة الإله عند نزوله من السماء، أما المعبد الأرضي فهو معد لظهوره إلى الناس لسماع صلوات عباده وطلباتهم والبت

---

(١) طه باقر: معابد العراق القديم، *مجلة سومر*، المجلد الثالث، الجزء الأول، بغداد، ١٩٤٧م، ص١٣.

(٢) فاضل عبد الواحد علي: *المرجع السابق*، ص ٣١٧.

(٣) عبدالحميد زيد: *المرجع السابق*، ص١٥٣.

فـــي أمـــورهم وشـــؤونهم فهـــو بمثابـــة مقـــام للإلـــه يظهـــر فيـــه بعـــض الأحايين.

بينمـــا ذهـــب فريـــق أخـــر مـــن البـــاحثين إلـــى أن الزقـــورة فـــي الأصـــل ليســـت إلا مرتفعـــا صـــناعيا أقـــام فوقـــه الســـمريون معابـــدهم اتقـــاء الغـــرق، وقد استنتجوا من ذلك أصل السومريين الجبلي.[1]

(1) طه باقر: *المرجع السابق*، ص١٤-٥.

الفصل الثالث

التشريعات والقوانين

١. تشريعات أورو كاجينا حاكم لجش.

٢. تشريعات أور نمو حاكم أور.

٣. تشريعات أشنونا.

٤. تشريعات لبت عشتار حاكم إسين .

٥. تشريعات حمورابي.

٦. التشريعات الآشورية.

الفصل الثالث

التشريعات والقوانين

١. تشريعات أوروكاجينا حاكم لجش.

تعد تشريعات أورو كاجينا (٢٣٤٧-٢٣٤١ ق.م) من أوائل التشريعات القانونية في تاريخ البشرية، وكان الدافع عليها زيادة نفوذ الكهنة الذين فرضوا الضرائب على المواطنين، وأخذوا يهددون سلطة الملوك أنفسهم، لذا عمل أورو كاجينا على الحد من نفوذهم، وأزال كل المساوئ التي كان يتذمر منها سكان المدينة، الأمر الذي جعل تشريع أوركاجينا ذا مضمون اجتماعي واقتصادي وسياسي.[١]

فقد قام أورو كاجينا في هذه التشريعات بمجموعة من الإجراءات، والتي منها:

- **الحد من الرسوم التي كانت مفروضة على الأهالي من قبل الكهنة، والمتعلقة بالأحوال الشخصية كالزواج والطلاق ورسوم الدفن وغيرها، وهذا الأمر أدى بدوره إلى الحد من نفوذ الكهنة.**
- **أمر بالعفو عن المسجونين والموقوفين بسبب الديون، كما وضع معالجات للمشاكل الإجتماعية كالبيع وانصاف الفقير، وأخذ حقه من الغني المتنفذ.**

---

(١) عبد المنعم عبد الحليم سيد: *حضارة وآثار العراق القديم ، دراسة تحليلية بالمقارنة بحضارة وآثار مصر الفرعونية*، الإسكندرية، ٢٠٠٥م، ص ٤٠-١.

- **عمل على وضع حدًا لاستحواذ طبقة الحكام على أملاك المعابد، وحدد سلطات الحاكم، كما قام بمعالجة الجرائم وتنظيم العقوبات.** [١]
- **خفف من وطأة العمل على بعض الفئات، حيث رفع عن الملاحين عبودية العمل في مراكبهم لمصلحة نظار الملاحة، كما رفع عن الرعاة عبودية العمل وراء الحمير والأغنام لمصلحة نظار الماشية.** [٢]

٢. تشريعات أور نمو حاكم أور.

ينسب هذا القانون إلى الملك "أور نمو" (٢١١٣-٢٠٩٦ ق.م) حاكم مدينة أور، ويحتوي على مقدمة و ٣١ مادة، بعضها مفقود، وبعضها الأخر استطاع علماء المساريات قراءتها وترجمتها من نصوص القانون الأصلي.

وفيما يتصل بالمقدمة فنجدها قد احتوت على نظرية التفويض الإلهي للسلطة، حيث يذكر "أور نمو" في مقدمته أن الألهة هي التي خولت إليه السلطات، [٣] **أما متن التشريع فيمكن تصنيفه إلى خمسة مجموعات متميزة تعالج كل واحدة منها موضوعا مستقلا عن موضوعات المجموعات الأخرى.**

---

(١) ياسين محمد حسين: جذور حقوق الإنسان في حضارة وادي الرافدين، *مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية*، العدد ٥، ٢٠١٠م، ص ١١.

(٢) عبد المنعم عبد الحليم سيد: *المرجع السابق*، ص ٤٠-١.

(٣) مصطفى فاضل كريم الخفاجي: تاريخ القانون في المجتمعات القديمة (قانون حمورابي) أنموذجاً، *مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية*، المجلد ٣٠، العدد ٢، ٢٠١٣م، ص٢٨٧.

فتتضمن المجموعة الأولى المواد من (١-١٢)، والتي تتعلق بالأحوال الشخصية كالخطوبة والزواج والطلاق والخيانة الزوجية ، حيث جاء في هذه المواد أن من تزوج بكرا ثم طلقها دفع لها مينا من الفضة، وإذا تزوج ثيبا ثم طلقها دفع لها نصف مينا من الفضة، كما ألزمت هذه المواد والد الخطيبة برد ضعف هدايا الخطيب إذا أخلف وعده له وزوجها لأخر، أما من رمى زوجة رجل أخر، ثم براها النهر غرم ثلث مينا من الفضة، ومن اغتصب جارية رجل أخر وكانت بكرًا غرم خمسة شواقل من الفضة.

بينما تضمنت المجموعة الثانية المادتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة، والتي انصب اهتمامهما على قضية هروب العبيد من المدينة، حيث نصت على منح الشخص الذي يتمكن من إعادة العبد الأبق إلى صاحبه شاقلين من الفضة .

أما المجموعة الثالثة فكانت تحتوي على المواد من(١٥-٢٣)، والتي تختص بحالات الأذى التي يتعرض له الضعفاء والعبيد، هذا إلى جانب حالات اعتداء العبيد على أسيادهم، [١] فمثلا جاء في المادة الثانية والعشرين "إذا تكبرت أمّة رجل ما وأقسمت لسيدتها على مساواة نفسها بها – أي بالسيدة – فعلى السيدة أن تدعك فاها- أي فم الأمة – بلتر من الملح".[٢]

بينما احتوت المجموعة الرابعة على المادتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين، والتي تختص بشهادة الزور، فإذا حضر رجل كشاهد في دعوة قضائية، ورفض أن يقسم ويدلى بشهادته،

---

(١) سعيدي سليم : *القانون والأحوال الشخصية في كل من العراق ومصر ٢٠٥٠ – ٣٣٢ ق.م (دراسة تاريخية مقارنة)*، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة منتوري، ٢٠١٠م، ص١٦-٧.

(٢) أحمد أمين سليم: المرجع السابق، ص٢٤٤.

فعليه أن يعوض بقدر ما تفرضه عليه الدعوة من غرامة، وإذا أدلى شخص بشهادة، وتبين أنه كذاب، فعليه أن يدفع خمسة عشر شقلا.[1]

وتعكس المجموعة الخامسة والأخيرة (المواد ٢٧-٢٩) مدى إهتمام المشرع بتنظيم العلاقات الخاصة بالأراضي الزراعية، فمثلا جاء في المادة الثامنة والعشرين " إذا تسبب رجل في إغراق حقل مزروع يعود لرجل آخر عليه أن يدفع لصاحب الحقل ثلاثة كور من الشعير لكل آكو من الحقل.[2]

و من دراسة مواد قانون أور نمو يتضح لنا بعض النتائج التالي ذكرها:

أولًا: حرص المشرع على إضفاء الصبغة المقدسة على مصدر هذه القوانين، حيث نجده يذكر في المقدمة أن الملك أور نمو مفوض من الإله نانا لحكم مدينة أور، والسبب في ذلك يرجع إلى رغبة المشرع في أن تحظى هذه القوانين باحترام العامة والخاصة من السكان.

ثانيًا: إن هذا القانون قد اعتمد على مبدأ التغريم في جميع الجرائم باستثناء حالة واحدة وهي الخيانة الزوجية، حيث جعل العقوبة فيها قتل الزوجة الخائنة، وذلك حرصا من المشرع على صيانة العلاقة الزوجية وعلى تماسك الأسرة.

ثالثًا: إن قانون أور نمو أخذ بمبدأ التعويض وليس القصاص، فجعل دية كسر العظام واحد مينا من الفضة، ودية قطع الأنف ثلثي مينا من الفضة... وهكذا. [3]

---

(١) سعيدي سليم : *المرجع السابق*، ص١٧.

(٢) أحمد أمين سليم: المرجع السابق، ص ٢٤٥.

(٣) سعيدي سليم : *المرجع السابق*، ص ١٦-٨.

٣. تشريعات أشنونا.

كتب هذا التشريع باللغة الأكدية، عدا المقدمة التي كتبت باللغة السومرية، وهذه إشارة صريحة على أن اللغة البابلية أصبحت تستعمل في المجالات الرسمية أكثر من اللغة السومرية، [١] وقد عُثر على هذا التشريع في تل حرمل في منطقة بغداد الجديدة، وعلى الرغم من أن اسم صاحبه مفقود، غير أن هناك من ينسبه إلى الملك بلالاما (عام ١٩٩٢ ق.م) أحد ملوك أشنونا البارزين. [٢]

و لم يتبقى من قانون "أشنونا" أكثر من إحدى وستين مادة، بالإضافة إلى مقدمته التي تختلف عن مقدمات القوانين الأخرى بأنها لم تقتبس منها شيئاً يذكر. [٣]

وقد عالج هذا القانون مسائل قانونية متفرقة أهمها تحديد أسعار بعض السلع كالزيت والشعير،[٤] كما نص على تحديد الأجور، وهذا غير موجود في الشرائع الأخرى، وبالإضافة إلى ذلك عرف هذا القانون عقود البيع والإيجار، والقرض ، والوديعة ، واعتبرت الكتابة وسيلة للإثبات وليس ركنا في العقد. [٥]

---

(١) حسين سيد نور الأعرجي: مفهوم العدالة في الخطاب السياسي في العراق القديم، *مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية*، العددان٣- ٤، المجلد٧، ٢٠٠٨م، ص١٩٩.

(٢) ياسين محمد حسين: *المرجع السابق، ص* ١٤.

(٣) مصطفى فاضل كريم الخفاجي: المرجع السابق، ص ٢٨٨- ٩.

(٤) علي كسار غدير سلطان الغزالي: القوانين والإصلاحات التشريعية السابقة لقانون وشريعة حمورابي وتأثيرها على حضارة بلاد وادي الرافدين، مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد الخامس، العدد الثاني، ٢٠٠٧م، ص٤١.

(٥) رشيد مجيد محمد الربيعي: شريعة إشنونا: أولى الشرائع السامية القديمة قبل شريعة حمورابي، *مجلة العلوم القانونية والسياسية*، المجلد الثالث، العدد الأول، ٢٠١٤م، ص٧٩.

كما عنيت مواد قانون أشنونا بالأحوال الشخصية لا سيما تنظيم العلاقات الأسرية، فاشترطت رضا الوالدين على زواج ابنتهما، وحرمت على الفتاة أن تعاشر رجلا في منزله دون زواج أمام والديها ولو أقامت في داره حولًا كاملا، وأخذت بما قررته شريعة أور نمو نحو الفتاة المخطوبة، حيث نصت على أنه إذا زوج رجل ابنته المخطوبة من رجل أخر وجب عليه أن يرد له ضعف ما أخذه منه.

وعلاوة على ذلك، نصت المواد على حق المحارب الذي يأسره الأعداء في استرداد زوجته بعد عودته إلى بلده ولو تزوجت غيره خلال فترة غيابه عنها، غير أنها في الوقت ذاته حرمت هذا الحق على من فارق بلده كارها له أو هاربا من سيده. [1]

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا القانون قد أخذ بمبدأ التعويض غير أنه خلط بين ما يعرف اليوم بالمسؤولية الجنائية والمسؤولية المدنية وذلك من خلال النص على الغرامة بمعنى التعويض تارة وبمعنى العقوبة تارة أخرى، حيث إن الجزاء في المسؤولية الجنائية عقوبة يوقعها المجتمع على المسؤول، أما الجزاء في المسؤولية المدنية فتعويض نقدي يستوفى من مال المسؤول. [2]

٤. تشريعات لبت عشتار حاكم إسين .

ينسب هذا القانون إلى الملك لبت عشتار (١٩٣٤-١٩٢٤ ق.م) خامس ملوك سلالة أيسن، وقد دون على لوح كبير من الطين، مهشم إلى ثلاث قطع عثر عليها في مدينة نفر، كما عثر على أربع كسر طينية أخرى تضم مقتبسات من هذا القانون في نفس

---

(١) عبد المنعم عبد الحليم سيد: *المرجع السابق، ص* ٤٣.

(٢) رشيد مجيد محمد الربيعي: *المرجع السابق، ص* ٧٩.

الموقع، [1] ومن المؤكد أن هذه الكسر هي نسخة من القانون الأصلي، ربما دونت لأغراض تعليمية، يستدل على ذلك من كثرة الأخطاء النحوية وسوء ترتيب المواد، أما القانون الأصلي فقد دون على مسلة كما يستنتج ذلك من الفقرة التي وردت في مقدمة القانون، حيث يذكر لبت عشتار " عندما عززت رفاهية بلاد سومر وأكد، أقمت هذه المسلة". [2]

ويتكون قانون لبت عشتار من مقدمة ، وخاتمة ، وعدد من المواد القانونية يصل لحوالي سبع وثلاثين مادة، يعتقد أنها تمثل ثلث النص الأصلي من القانون. [3]

وقد عالج هذا القانون بعض النواحي التي أغفلتها التشريعات السابقة مثل حقوق العبيد، حيث أباح للعبد أن يُحرر نفسه إذا دفع لسيده ضعف ما اشتراه به، ولكنه فرض على من أوى عبدا هاربا في داره شهرا أن يعوض أصحابه عنه عبدا أخر أو يدفع عنه خمسة عشر شاقلا من الفضة. [4]

كما عالجت مواد هذا القانون شؤون الأراضي الزراعية، فنصت على أنه إذا عجز مالك عن دفع ضرائب أرضه وسددها شخص أخر لمدة ثلاثة أعوام متتالية حق لهذا الأخير أن ينتفع بها دون حق الإعتراض من المنتفع الأصلي، كما نصت على أنه إذا جاورت أرض بور منزلا عامرا، وأنذر صاحب المنزل صاحبها بخوفه

---

(1) وليد سعد الميالي و زينب عبد الله هلال: الملك لبت عشتر (١٩٣٤-١٩٢٤) ق.م في ضوء النصوص المسمارية المنشورة، *مجلة الأستاذ*، العدد ٢٠٢، ٢٠١٢م، ص ٧٦١.

(2) رضا جواد الهاشمي: القانون والأحوال الشخصية، *حضارة العراق*، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٨٥م، ص٧٤.

(3) نفسه، نفس الصفحة.

(4) عبد المنعم عبد الحليم سيد: *المرجع السابق*، ص ٤٣-٤.

من أن يعتدي معتد على منزله عن طريقه، ثم سرق منزله فعلا وجب على صاحب الأرض أن يعوضه عما سرق منه.[١]

كما تناولت مواد أخرى حالات الإعتداء على الآخرين، والسرقة، محددة عقوبة كل حالة، فمثلا جاء في المادة التاسعة من هذا القانون " إذا دخل رجل بستان رجل أخر وقبض عليه للسرقة، فإنه يدفع عشرة شواقل من الفضة"، وفي المادة العاشرة " إذا قطع رجل شجرة من حديقة رجل أخر فإنه يدفع نصف مينا من الفضة".[٢]

وبالإضافة إلى ذلك، استنت تشريعات لبت عشتار لأول مرة تعويضات لأصحاب الحيوانات عن الأضرار التي تصيب حيواناتهم، وكمثال لذلك من استاجر ثورا، وتسبب في قطع أنفه يدفع لصاحبه ثلث ثمنه، أما اذا فقا عينه فيدفع نصف الثمن، بينما يدفع ربع ثمن الحيوان إذا كسر قرنه. [٣]

وفيما يتصل بالأحوال الشخصية، فقد خصص المشرع عدد من المواد تعالج جوانب هذا الموضوع وتبعاته من حيث الأولاد والحقوق المالية والإجتماعية وشؤون الأرث، [٤] فمثلا نصت هذه التشريعات على إنه إذا تزوج رجل جارية وأنجب منها أولادا وحررها، فلا يحق لأولادها أن يشاركوا أبناءه من زوجته الشرعية في الميراث، وإذا اتخذ رجل لنفسه محظية بسبب عقم زوجته، فلا يحق له أن يسكنها في داره مع زوجته العاقر، ويحق لأولاد المحظية أن يرثوا منه. [٥]

---

(١) عبد المنعم محمد مجاهد: *المرجع السابق*، ص ١٥٢.

(٢) علي كسار غدير سلطان الغزالي: *المرجع السابق*، ص٤٢.

(٣) عبد المنعم عبد الحليم سيد: *المرجع السابق*، ص ٤٤.

(٤) رضا جواد الهاشمي: *المرجع السابق*، ص ٧٤.

(٥) عبد المنعم عبد الحليم سيد: *المرجع السابق*، ص ٤٤.

٥. تشريعات حمورابي.

سجل حمورابي تشريعاته على مسلة كبيرة من حجر الديوريت، طولها ٢٢٥ سم، وقطرها ٦٠ سم، وهي مسلة أسطوانية الشكل عثر عليها في مدينة سوسة عاصمة عيلام أثناء التنقيبات الفرنسية في الفترة الممتدة بين عامي (١٩٠١-١٩٠٢م)، والمسلة محفوظة الآن في متحف اللوفر بباريس.

وقد نقلها إلى مدينة سوسة الملك العيلامي "شوتروك ناخونتي" أثناء حملته على بابل في عام ١١٧١ ق.م، وقد محا هذا الملك بعض سطور المسلة؛ ليسجل مكانها اسمه، غير أنه لم ينجز ما أراد؛ ربما بسبب خوفه من اللعنات التي تحويها خاتمة التشريع على كل من يغير نصوصها.

وقد كتبت تشريعات حمورابي باللغة البابلية على غرار تشريعات لبت عشتار، وتألفت المود المتبقية منها من ٢٨٢ مادة، تناولت أمور القضاء والأمن، وحقوق المحاربين ومسئولياتهم، وعقود الزراعة، وشروط القروض، والأحوال الشخصية من تقاليد الزواج والطلاق والمواريث، كما عالجت بعض المواد التعويضات والقصاص، وأجور أصحاب المهن المختلفة ومسئولياتهم.[١]

و من دراسة مواد شريعة حمورابي يتضح لنا أنها ارتكزت على النقاط التالية:

أولاً: إن هذه الشريعة قد اغفلت بعض القضايا العامة في الوقت الذي اهتمت فيه ببعض الأمور الخاصة، وربما يرجع السبب في ذلك إلى أن القضايا المعروفة والشائعة بين القضاة لم تستوجب

---

(١) محمود الأمين: شريعة حمورابي، الطبعة الأولى، دار الوراق للنشر المحدودة، لندن، ٢٠٠٧م، ص ٨- ٩.

تثبيتها في القانون، خصوصا أن عدد كبير من قرارات المحاكم الصادرة في دعاوي سابقة كانت تسجل ويحتفظ بها حتى يستعين بها عند النظر في قضايا مماثلة أو مقاربة في المستقبل.

ثانيًا: إن هذا القانون كشف في معالجاته أنه القانون المدني الموحد الذي يُخضع جميع المواطنيين لأحكامه، وإن كانت هذه الأحكام قد راعت في أحكامها المرتبة الإجتماعية،[1] حيث قسمت المجتمع العراقي إلى ثلاث طبقات:

- **الطبقة العليا: ويعرف الواحد منها باسم " أويليوم" أو" مار أويليوم" بمعنى الرجال وأبناء الرجال، وكان منهم شيوخ المدينة ومستشاري القضاء والأشراف.**
- **الطبقة الوسطى: ويعرف الواحد منها باسم "مشكينوم " وتترجم ب " العامي" أو المزارع نصف الحر" ويبدو أن أبناء هذه الطبقة كانوا من التابعيين الحكوميين، الذين كانوا عرضة للالتزامات والواجبات ، يحصلون في مقابلها على امتيازات خاصة.**
- **العبيد ويعرف الواحد منهم باسم " واردوم" وكانوا من أسرى الحروب وأولادهم، ومن الاثرياء الذين استدانوا وعجزوا عن سداد دينهم، فباعوا أنفسهم وأولادهم، وكان من الممكن تحرير رقابهم أو تبينهم من قبل أسيادهم، ويجوز لهم الزواج من بنات الأحرار.**

ولعل خير مثال على عدم المساواة في الحقوق والعقوبات بين هذه الطبقات الثلاث، هو أن قانون حمورابي وإن استحدث مبدأ العين بالعين، غير أنه اقتصر تطبيقه على أفراد الطبقة الواحدة ولمصلحة الطبقة العليا بخاصة، بينما قضى بالتعويض المادي وحده

---

(1) علي كسار غدير سلطان الغزالي: *المرجع السابق*، ص٤٣.

جزاء لاعتداء أحد أفراد الطبقة العليا على فرد من الطبقات الأخرى الأقل منزلة من طبقته. [1]

وإن كان هناك نوع من المساواة بين الطبقات في قانون حمورابي، فيتمثل ذلك في مسئولية الجميع عند إجراء أعمالهم وتنفيذ إلتزاماتهم من التقيد ببنود القانون ومراعاة أحكامه وهذا ما وجدنا في القوانين السابقة لقانون حمورابي أيضا. [2]

والجدير بالذكر هنا أن مصر الفرعونية لم تعرف هذا التميز الطبقي في العقوبات، حيث كانت المحاكم المصرية من ناحية المبدأ تعاقب مرتكبي الجريمة الواحدة بعقوبة واحدة بصرف النظر عن المركز الإجتماعي لكل منهم، حتى إن الفراعنة أنفسهم كانوا يوصون وزرائهم بعدم تمييز القوي على الضعيف، بل بنصرة الضعيف صاحب الحق. [3]

ثالثًا: اصطبغت تشريعات حمورابي بالشدة في مواجهة الاضرار بمصالح الدولة والاعتداءات على النفس والمال، وربما يرجع السبب في ذلك إلى رغبتها في رهبة الناس ومنع الجريمة قبل وقوعها أو لتقيدها بتعاليم دينية متشددة، أو لانتشار الفساد في مجتمعها ، فكان الإعدام عقوبة للتآمر على مصالح الدولة وآمنها والوقوف في طريق تنفيذ أحكامها، كإيواء متمرد أو مجرم هارب، أو التكتم على مؤامرات قطاع الطرق...إلخ.

رابعًا: إن تشريعات حمورابي قد تضمنت أحكاما غريبة في بعض موادها، والتي يصعب قبولها إلا بمنطق عصرها، فمثلا إذا اتهم

---

(1) محمد الشحات عبد الفتاح شاهين: *تاريخ وحضارة العراق القديم (حتى نهاية أسرة بابل الأولى)*، (ب.م)، ٢٠٠٣م، ص٣٢٧-٨.

(2) علي كسار غدير سلطان الغزالي: *المرجع السابق*، ص٤٣.

(3) عبد المنعم عبد الحليم سيد: *المرجع السابق*، ص ٤٨.

مواطن مواطنا آخر بالاشتغال بالسحر، كان على المدعى عليه أن يلقى نفسه في النهر، فإذا غرق (أي كان مذنبا) ورثه الآخر، وإذا نجا يتم إعدام من اتهمه، وتؤول ممتلكاته إلى المدعي عليه الذي برأت ساحته. (١)

خامسًا: على الرغم من بعض الأمور السلبية الموجودة في هذه التشريعات، فإنها اشتملت على بعض الأمور الإيجابية لاسيما تلك المتعلقة بأحكام الزواج والطلاق، وكذلك الخاصة بعدم دفع الضرائب طالما أن إنتاج الفرد قد تعرض لقوة قاهرة من مظاهر الطبيعة المدمرة. (٢)

سادسا: أن حمورابي قد أخضع رجال الدين لأول مرة للقضاء، حيث تقلص الدور القضائي للمعبد في هذا العهد، وفصل الدين عن القضاء، وصار واحدا من شئون الدولة المدنية، ولم يعد هناك ذكر لمحاكم الكهنة كما كان الحال من قبل، حيث كانت المنازعات – قبل عهد حمورابي – يقضى فيها مجموعة من القضاة عند بوابة المعبد أو في ساحته، لإضفاء نوعا من القداسة عليها، وإذا لم يصلا إلى اتفاق كان يتم القسم أمام تمثال الإله، أو التحكيم عن طريق النهر في حالة عدم وضوح الدليل أمام القضاة، ويعتبر رفض أحد الأطراف القسم نصرا للآخر. (٣)

٦. التشريعات الآشورية.

لم يترك الآشوريون إلا عدد قليل من القوانين والتشريعات، والتي لا تتناسب مع عظمة الدولة الآشورية وملوكها، وكثرة

---

(١) محمد الشحات عبد الفتاح شاهين: *المرجع السابق*، ص ٣٢٩– ٣٣٠ .

(٢) حسن محمد محي الدين السعدي: *في تاريخ الشرق الأدنى القديم*، الجزء الثاني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠١م، ص ١٣٩.

(٣) محمد الشحات عبد الفتاح شاهين: *المرجع السابق*، ص٣٣٠–١.

إنجازاتهم ، وربما يعود هذا النقص إلى انهماك الملوك الآشوريين بالأعمال العسكرية والعمرانية التي شغلتهم بعض الشيء عن الانصراف لجوانب الإدارة والتنظيم، ومنها إصدار القوانين والتشريعات.

ومن ناحية أخرى هناك من يرجع عزوف الآشوريين عن إصدار القوانين إلى أنهم حكموا إمبراطورية واسعة ضمت شعوبا وأمما مختلفة، ذات ثقافات وعادات متباينة، الأمر الذي تعذر معه سن قوانين تتقبلها جميع شعوب الإمبراطورية.

لكن الرأي الأرجح هو اعتماد الآشوريين على القوانين السابقة لاسيما قانون حمورابي، يستدل على ذلك من اكتشاف استنساخ لفقرات من قانون حمورابي في مكتبة آشور بانبيال، كما يدعم ذلك أن المجموعة القليلة من الفقرات الآشورية تتفق في أحكامها مع القوانين البابلية. (١)

وعلى أية حال، يقسم الباحثون القوانين الآشورية القليلة المتبقية إلى مجموعتين:

- **المجموعة الأولى: ترجع إلى العهد الآشوري القديم (٢٠٠٠-١٥٢١ ق.م)، وقد عثر عليها في المستوطنة الآشورية التجارية في كول تبة في آسيا الصغرى، وهي مواد ترتبط بقضايا الشئون الإقتصادية، لاسيما التجارية.**
- **المجموعة الثانية: ترجع إلى العصر الآشوري الوسيط (١٥٢١-٩١٣ ق.م)، وقد عثرت عليها البعثة الألمانية مدونة في ألواح طينية أثناء حفرياتها في مدينة آشور في الفترة (١٩٠٣-١٩١٤م).** (٢)

---

(١) رضا جواد الهاشمي: *المرجع السابق*، ص ٨٢-٣.

(٢) محمد بيومي مهران: *تاريخ العراق القديم*، ص ٣٥١-٣٥٢.

ولا تخرج التشريعات الآشورية في أغلب نصوصها عن الموضوعات التي تناولتها القوانين العراقية السابقة لها، وإن تميزت عنها بوجه خاص بكثرة بنودها التي تناولت شئون النساء وبقسوتها في العقوبات التي فرضتها على سيئات السلوك منهن، وفرض الحجاب على الحرئر منهن، وتحريمه على الجواري والعاهرات، كما أخضعت الزوجة لقيود صارمة ووضعتها تحت الولاية التامة للزوج.[١]

و من أغرب وأقسى العقوبات في حق المرأة الآشورية، تلك المادة التي تنص على تسليم زوجة المغتصب لبيوت الدعارة وألا تعاد إليه، فعقاب المغتصب يكون في زوجته حتى يشعر بالعار والعذاب، فالمرأة هنا تعاقب على جريمة لم ترتكبها، [٢] وليس هناك من تفسير مقنع لهذه القسوة على المرأة إلا أن يكون ذلك نتيجة لتلك القسوة الفطرية الشديدة التي تميز بها الآشوريون. [٣]

---

(١) عبد المنعم عبد الحليم سيد: *المرجع السابق*، ص ٤٩.

(٢) سعيدي سليم : *المرجع السابق*، *ص* ٤٢.

(٣) عبد المنعم عبد الحليم سيد: *المرجع السابق*، ص ٤٩.

الباب الثاني

مدخل إلى حضارة إيران

الفصل الأول: التنظيمات السياسية والإدارية والعسكرية.

الفصل الثاني: الفـكر الدينـــي.

الفصل الثالث: الآداب والعلـــــوم.

الفصل الأول

التنظيمات السياسية والإدارية والعسكرية

١.التنظيمات السياسية والإدارية.

١.١ التنظيمات السياسية والإدارية في عصر المملكة الميدية.

٢.١ التنظيمات السياسية والإدارية في عصر الإمبراطورية الأخمينية.

١.٢.١ الملك.

٢.٢.١ البلاط الملكي.

٣.٢.١ الأمراء والنبلاء.

٤.٢.١ نظام الحكم في الولايات.

٢.الجيش

١.٢ الجيش في عصر المملكة الميدية.

٢.٢ الجيش في عصر الإمبراطورية الأخمينية.

الفصل الأول

التنظيمات السياسية والإدارية والعسكرية

١.التنظيمات السياسية والإدارية:

١.١ التنظيمات السياسية والإدارية في عصر المملكة الميدية:

كان نظام الحكم في ميديا قبل تأسيس المملكة الميدية (٧٠٠-٥٥٠ ق.م) يعرف باسم ملوك الطوائف [١]، حيث كان لكل طائفة حياة سياسية ومعيشية مستقلة، حتى نجح دياكو بشخصيته الفذة في توحيد القبائل الميدية في دولة واحدة، وانتقل بالمجتمع الميدي من النظام القبلي البدائي إلى النظام الملكي.

ولم يكن الملك في ميديا إلهاً كما كان الحال في مصر الفرعونية، فالملكية عند الميديين حتي وإن كانت حقًا مورثًا في أسرة دياكو، غير أن هذا الحق لا يمنع حكام المدن الميدية من التمتع

---

(١) **ملوك الطوائف:** كانت الأسرة تمثل وحدة هذا النظام، حيث تشكل عدة أسر ما يعرف باسم الفخد أو البطن، ومحل إقامته القرية التي كان يطلق عليها اسم (ويس)، وتتكون القبيلة من عدد من البطون، ومحل اقامتها هو البلوك (الناحية)، وتشكل عدة قبائل بدورها الشعب ومحل اقامته الولاية التي كان يطق عليها اسم "ده يوه"، وكان نظام الحكم قائم على نوع من الديموقرطية البدائية، فينتخب رؤساء العائلات رئيس الفخد، وينتخب رؤساء الأفخاد رئيس القبيلة، انظر:

حسن بيرنيا: *تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني*، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم، والسباعي محمد السباعي، مراجعة يحي الخشاب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت، ص٢٢.

بنوع من الحرية الإدارية في أوقات السلم، لكن في حالة التهديد أو الحروب كانوا يجمعون لوائهم تحت قيادة ملكهم. [١]

وبكلمات أخرى ما انتقلت القبائل الميدية إلى مرحلة الدولة الموحدة حتى بدأ نفوذ الحاكم المركزي يقوي تدريجيًا على حساب بقية حكام المدن الأخرى التابعة له، ولا يعني ذلك أنه قضى على كل نفوذهم، بل أنه أصبح بمثابة الحاكم الأكبر بين مجموعة من صغار الحكام، يتولى رئاستهم والتنسيق بينهم، مع احتفاظ كل منهم بسلطاته كاملة في إقليمه، نستدل على ذلك من أن بعض هؤلاء الحكام قد احتفظوا بولاياتهم ونفوذهم بعد زوال مُلك الميديين أنفسهم، وبقيت ولاياتهم الصغيرة إرثا لذويهم من بعدهم. [٢]

٢.١ التنظيمات السياسية والإدارية في عصر الإمبراطورية الأخمينية:

١.٢.١ الملك:

كان الملك في الدولة الأخمينية (٥٥٨-٣٣١ ق.م) على رأس الجهاز الإداري للدولة، ويتلقب بعدد من الألقاب المختلفة، والتي يأتي في مقدمتها لقب "خشاترا" بمعنى المحارب، والذي يشير إلى أن الملكية الأخمينية كانت ذات صبغة عسكرية، وعلاوة على ذلك، فقد تلقب ملوك هذه الدولة بلقب ملك الملوك، وذلك لأن الإمبراطورية الأخمينية قد ضمت عدد من الممالك السابقة كبلاد الرافدين وأفغانستان وأرمينيا والممالك السورية ومصر وغيرها. [٣]

---

(١) شاكر رضا أحمد: *التاريخ السياسي والحضاري للمملكة الميدية ٧٠٠-٥٥٠ ق.م*، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ٢٠١٥م، ص١٣٣.

(٢) بديع محمد جمعة: *مدخل إلى حضارة إيران قبل الإسلام*، د.م، د.ت، ص٥٠.

(٣) عبد النعيم محمد حسنين وآخرون: *حضارة مصر والشرق الأدنى القديم*، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ٤٣٣.

هذا وقد كان الملك يتمتع بصلاحيات مطلقة، فكانت أوامره مطاعة، وكلامه واجب التنفيذ، حتى ولو كان رأيه مجافيا للصالح العام، وذلك لأن الإيرانيين كانوا يعتقدون أن الملك ظل أهورمزدا على الأرض، وعلى هذا فلم تكن أحكامه نابعة من عقله ووجدانه، وإنما كانت تستمد من معبود الخير أهورمزدا، ولذلك لم يكن الملك موضع مساءلة عما يصدر منه من أقوال وأعمال. (١)

وكان يحق للملك أن يختار ولي العهد من بين أبنائه، غير أن وراثة العرش كانت في العادة عرضة لما تقرره الثورات والفتن داخل الأسرة الحاكمة. (٢)

ومما تجدر الإشارة إليه أن الملك في البداية كان يملك ويحكم، حيث كانت الدولة الأخمينية في مرحلة التأسيس والبناء، ولكن عندما هدأت الحروب، وزادت ثروات البلاد نتيجة للخراج المتدفق على خزانة الدولة، أصبح الملوك يملكون فقط ولا يحكمون، حيث عهدوا بكثير من مقاليد الحكم إلى الأشراف الخاضعين لسلطانهم أو خدم قصورهم، وتفرغوا هم لحياة اللعب واللهو والصيد، فصار القصر ميدانا للعبث والفساد وتدبير المؤمرات وحبك الدسائس على حساب عامة الشعب. (٣)

٢.٢.١ البلاط الملكي:

كان البلاط الملكي يتكون من الوزير الأول الذي يساعد الملك في ممارسة سلطاته، هذا إلى جانب المدير الأول للقصر،

---

(١) بديع محمد جمعة: *المرجع السابق*، ص٥٢.

(٢) جميلة عبد الكريم محمد: *قوريناية والفرس الأخمينيون منذ إنشاء قوريني حتى سقوط أسرة باتوس*، الطبعة الأولى، در النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٦م، ص ١٩٤.

(٣) عبد النعيم محمد حسنين وآخرون: *المرجع السابق*، ص٤٣٣-٤؛ بديع محمد جمعة: *المرجع السابق*، ص٥٢.

الخصي الأول، عين االملك وأذنيه، والتشريفاتي، حامل الكأس، وكبير السقاة، رئيس سواس الخيل، رئيس الخزينة، سائق العربة الملكية، حامل الصولجان، حامل الرمح، فضلا عن الرسل والأطباء والموسيقيين، والصيادين والطباخين. [1]

كما ضم بلاط الملك زوجته التي كان لها دخلها الخاص ونفوذها الكبير في تصريف شؤون الدولة، نستدل على ذلك من قيام بعض الملكات بأدورًا غير مباشرة كان لها بالغ الأثر على مجريات الأحداث في الإمبراطورية الأخمينية، فمثلًا وليس حصرًا، ما قامت به أستير اليهودية أو أمستريس زوج الملك أكسركسيس الأول ٤٨٦-٤٦٥ ق.م.

وبالإضافة إلى ذلك، كان البلاط الملكي يعج بعدد من الخصيان والحريم، الأمر الذي كان له نتائج سلبية لا مناص منها كدسائس الحريم ومكايد الوزراء والخصيان لاسيما في الفترة التي انصرف فيها الملوك الأخمينيون عن الإشراف الدقيق على أمور البلاط، ومع ذلك فإن العاطفة الوطنية الصادقة كانت واضحة في حياة الملك وشعبه حتى أن أدعيتهم لم تكن لنفع ذاتي بل من أجل سعادة البلاد ورفعتها ثم سعادة الملك. [2]

٣.٢.١ الأمراء والنبلاء:

كان يحيط بالملك عدد من النبلاء، الذين كانوا يشكلون مجلسًا يستمد منه الملك المشورة، وكان هؤلاء النبلاء ينتمون إلى الأسر الست التي استطاعت أن تساعد داريوش الكبير(٥٢٢-٤٨٦ ق.م) في قضائه على سمرديس الكذاب، ذلك الرجل الذي أدعى

---

(١) جميلة عبد الكريم محمد: *المرجع السابق*، ص١٩٥-٦.

(٢) نفسه، ص١٩٧.

أحقيته في الحكم أثناء غياب قمبيز (٥٣٠-٥٢٢ ق.م) في مصر، ونتيجة لهذا فقد منحهم داريوش كثيرًا من الضياع إعترافًا منه بفضلهم عليه. (١)

وقد لعب هؤلاء النبلاء دورًا كبيرًا في مساعدة الملك في إدارة شؤون البلاد، طالما كان الملك قويًا يستطيع أن يمسك بزمام الأمور، ولا يترك لهم فرصة للتسلط والعبث والفساد، لكن عندما تولى مقاليد الحكم في الإمبراطورية الأخمينية ملوك ضعفاء إزداد تسلط هؤلاء الأمراء، وصار كل منهم يعمل لحسابه الخاص أكثر مما يعمل لصالح الإمبراطورية، الدليل على ذلك يمكن أن نستمده من موقف بعض النبلاء من مهاجمة الإسكندر الأكبر للديار الفارسية، حيث عرضوا على القائد المقدوني الفتك بملكهم داريوش الثالث مقابل الإبقاء عليهم وعلى مصالحهم، فما كان من الإسكندر إلا أن وافقهم حتى تخلص من داريوش الثالث، ثم تخلص منهم بعد ذلك. (٢)

٤.٢.١ نظام الحكم في الولايات:

كانت الإمبراطورية الأخمينية مقسمة إلى عشرين ولاية، تشمل الأقاليم والولايات الآتية: مصر، فلسطين، بلاد سوريا، فينيقيا، فريجيا، أيونية، كبدوكية، أرمينيا، كليكيا، بلاد آشور وبابل، بلاد ماذي، فارس، القوقاز، أفغانستان وبلوجستان، الهند، بلاد الصغد، بلاد البخت، وأخيرًا ولاية تضم بعض القبائل التركمانية في أواسط أسيا. (٣)

---

(١) ويل ديورانت: *الشرق الأدنى*، الجزء الثاني من المجلد الأول، ترجمة محمد بدران، د.م، د.ت، ص٤٠٦، ٤١٦.

(٢) بديع محمد جمعة: *المرجع السابق*، ص٥٣.

(٣) طه باقر: *مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة*، الجزء الثاني، دار الوراق للنشر المحدودة، بيروت، ٢٠١١م، ص٤٦٣-٤.

وقد عين الملك الأخميني في كل ولاية نائبا عنه يعرف باسم " سترب"، ويتمثل دور هذا الوالي (نائب الملك) في إدارة ولايته، ثم حفظ الأمن فيها، وجمع الضرائب.

وعلاوة على ذلك، عمد الملك إلى تعيين قائد عسكري في كل ولاية بحيث يكون مستقل فى اختصاصاته عن الوالي، ويرتبط بالسلطات المركزية بشكل مباشر، كان هذا، من جهة، لتوطيد رقابة الموظفين المكلفين بتقديم تقرير عن زملائهم، ومن جهة أخرى للحذر من أي تدبير انفصالي من قبل الحكام والقادة العسكريين الجشعيين. (١)

وبالإضافة إلى ما سبق، كان للملك عدد من الموظفين الذين يرسلهم لتفتيش شؤون الولاية في أي وقت من الأوقات ودون سبق إنذار، ومن ضمن هؤلاء الموظفين "عين الملك" و"رسول الملك" و"أذن الملك"، كما كان يوجد بكل ولاية مجموعة من الكتبة يتبعون للوالي، ويقومون بأعباء الأعمال الإدارية في الولاية، وإذا كان الولاة وكبار الموظفين يتم انتخابهم من بين نبلاء الفرس، فإن صغار الموظفين وهؤلاء الكتبة كان يتم اختيارهم من الشعوب المحكومة ومن الفرس على حد سواء. (٢)

هذا وقد كان يتعين على سكان كل ولاية دفع مرتبات الموظفين الذين يعملون فيها، فضلًا عن تعهدهم بإرسال قدر محدود من النقود على سبيل الخراج والضرائب، (٣) **وكانت جميع الولايات**

---

(١) ف. دياكوف و س.كوفاليف: الحضارات القديمة، الجزء الأول، ترجمة نسيم واكيم اليازجي، علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٠ م، ص ٢٠١-٢.

(٢) جميلة عبد الكريم محمد: *المرجع السابق*، ص٢٠٦-٧.

(٣) عبد النعيم محمد حسنين وآخرون: *المرجع السابق*، ص٤٣٥.

خاضعة إلى مثل هذه الضرائب ماعدا ولاية فارس التي كانت معفاة منها لكونها مهد الأسرة الملكية الحاكمة.

أما بالنسبة لمقدار الضرائب التي كانت تدفعها الولايات الخاضعة للدولة الفارسية، فإن كتابات المؤرخين اليونانيين لاسيما هيردوت تشير إلى أن ولاية الهند كانت على رأس الولايات في مقدار خراجها السنوي، حيث كانت تدفع إلى الخزانة الأخمينية (٦٤٨٠) وزنة، ثم يأتي بعدها ولاية بلاد بابل وآشور ومقدار جبايتها (١٠٠٠) وزنة، ثم مصر ومقدار جبايتها (٧٠٠) وزنة، ثم كليكيا ومقدار جبايتها (٣٦٠) وزنة ثم سوريا (متضمنة فلسطين) ومقدار جبايتها (٣٥٠) وزنة، بينما دفعت ولايات أسيا الصغرى الأربع نحو (١٧٦٠) وزنة، وإلى جانب هذه الجباية السنوية كان يتعين على كل ولاية تزويد الملك بالمؤن والاحتياجات بحسب طاقة كلٌ منها. [١]

لكن في المقابل، فقد تمتعت الولايات الخاضعة للسيادة الفارسية بشيء من الحرية، حيث سمح لكل ولاية باستعمال لغتها الخاصة، والمحافظة على عاداتها وتقاليدها ومعتقداتها وعملتها، بل وبقاء أسرتها الحاكمة في بعض الأحيان، فأدى هذا إلى رضا بعض الولايات بالحكم الفارسي، [٢] **لاسيما أن دارايوش قد أصدر تعليماته للولاة بأن يصطنعوا الرفق في معاملة المحكومين وألا يلجأوا إلى**

---

(١) طه باقر: *المرجع السابق*، ص٤٦٥؛ حسن كريم الجاف: *موسوعة تاريخ إيران السياسي من التاريخ الأسطوري حتى نهاية الدولة الطاهرية*، المجلد الاول، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٨م، ص٤٩.

(٢) عبد النعيم محمد حسنين وآخرون: *المرجع السابق*، ص٤٣٦.

العنف فهم أقلية حاكمة، ومن الحكمة عدم استثارة مشاعر الجماهير. [١]

ورب سائلا يتساءل: إذا كانت التنظيمات الإدارية في الإمبراطورية الأخمينية على هذه الدرجة من المرونة والكمال، فلماذا تلك الثورات التي شهدتها معظم أطراف الإمبراطورية الأخمينية على امتداد تاريخها؟، الجواب هو أن النظام لم يتواجد دفعة واحدة بل تكامل عقب محاولة علاج أسباب الإضطرابات والقلاقل التي حدثت في الولايات حتى أصبح في صورته النهائية على هذه الدرجة من التكامل. [٢]

ومما تجدر الإشارة إليه، أن هناك عدة أمور قد ساعدت الدولة الأخمينية في إدارة ممتلكاتها، منها (أولًا) اتخاذ النقود المسكوكة منذ عهد دارايوش الأول(٥٢٢ - ٤٨٦ ق.م)، ومنها (ثانيًا) أن الملوك الأخمينيين حرصوا على تنظيم البريد وإنشاء شبكة من الطرق، وذلك بغرض تيسير الإرتباط بين مختلف مناطق الإمبراطورية الأخمينية، [٣] **ومن أهم هذه الطرق طريقان أنشأهما دارايوش الأول: أولهما الطريق الذي يصل بين ليديا والعواصم الفارسية، وثانيهما الطرق الذي يبدأ من مصر إلى فارس ويمتد شرقًا حتى حدود الصين.** [٤]

---

(١) نجيب ميخائيل إبراهيم: *الشرق الأدنى القديم (وادي الرافدين – بلاد الحيثيين- فارس)*، الطبعة الأول، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٣م، ص٣٩٣.

(٢) جميلة عبد الكريم محمد: *المرجع السابق*، ص٢١١.

(٣) محمد بيومي مهران: *حضارات الشرق الأدنى القديم*، الجزء الأول، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦م، ص١٨٢.

(٤) عبد النعيم محمد حسنين وآخرون: *المرجع السابق*، ص٤٤٢.

ولا ريب أن توحيد معظم أجزاء آسيا الغربية- إن لم تكن كلها – تحت سلطان التاج الأخميني، وتقسيمها إلى ولايات تخضع بشكل مباشر أو غير مباشر للإدارة المركزية في فارس، وخلق شبكة من الطرق تربط بين هذه الولايات، إلى جانب إنشاء جهاز منظم لجباية الضرائب والجزية... كل هذا اسهم في خلق قوة دافعة للإقتصاد الأخميني، وواكب ذلك إدخال الموازين والمقاييس ثم العملة في كل ربوع الإمبراطورية، الأمر الذي دعم التجارة الخارجية للامبراطورية الأخمينية. [1]

٢ .الجيش.

١.٢ الجيش في عصر المملكة الميدية:

كان الجيش الميدي حتى عهد الملك فرورتيس (٦٥٥-٦٣٣ ق.م) يتسم بأنه جيش غير نظامي، الأمر الذي تسبب في هزيمة الميديين أمام الآشوريين في عام ٦٣٣ ق.م، حيث لم يكن في استطاعة جيشهم غير المدرب أن يواجه جيش الآشوريين المثالي الذي اكتسب خبرة كبيرة في حروبه مع العيلاميين، لذا فقد لقي الميديين هزيمة نكراء، وانتهى الأمر بقتل ملكهم نفسه في عام ٦٣٣ ق.م. [2]

ولما اعتلى "كي خسرو" (كياكسار باليونانية) العرش الميدي بعد مقتل والده فرورتيس، أدرك أن الجيش غير النظامي الذي تدفع به الطوئف والشعوب الخاضعة لا يمكن له مواجهة الآشوريين، لذا فقد عمل على إعادة تنظيم الجيش حتى يصبح جيش نظامي، وقسمه إلى قسمين:

---

(١) نجيب ميخائيل إبراهيم: *المرجع السابق*، ص٣٩٥.

(٢) حسن بيرنيا: *المرجع السابق*، ص٦٢.

١. الرجالة: وهؤلاء كانوا مسلحين بالسهام والأقواس والسيوف.

٢. الأساورة: الذين تميزوا عن أساورة آشور لقدرتهم الفائقة في رمي السهام أثناء حركة الجياد في كرها أو فرها. [١]

كما عمد الملك "كي خسرو" إلى تبني التجنيد العسكري الإجباري، وحدد مدة الخدمة العسكرية بثلاث سنوات، ويستدعى الفرد بعد قضاء هذه المدة للاحتياط متى استدعت الحاجة لذلك.

وقد كان السلاح الميدي في البداية عبارة عن رمح طويل ودرع مربع أو دائري، ثم حل محله السهم أو القوس، وكان القوس مائلا وقصيرا، وله جراب ويحمل في الظهر، كما عرف الميديون طريقة ارتداء القميص المعدني كوسيلة دفاع، حيث يتميز بقدرته على عدم اختراق السهم والسيف والخنجر له. [٢]

وبالإضافة إلى ذلك، استخدم الميديون العجلات الحربية التي ركبوا في عجلاتها المناجل، بحيث صارت هذه العجلات جزءًا من الموروث الشعبي في إيران القديمة ومادة مهمة في الحكايات البطولية في الأساطير الايرانية لمدة مائة عام فيما بعد، ويبدو أن الميديين قد اقتبسوا – في تطوير جيشهم– كثيرًا من النظم الحربية

---

(١) ا.ح.ايفانز: *هيرودوت*، ترجمة أمين سلامة، مراجعة كمال الملاخ، ب.م، ٢٠٠٠م، ص٤٧؛ حسن بيرنيا: *المرجع السابق*، ص٦٢ –٣؛ أحمد حبيب سنيد الفتلاوي: العلاقات الكلدية الفارسية في العصر البابلي الحديث (٦٢٦–٥٣٩ ق.م)، *مجلة كلية التربية الساسية للعلوم التربوية والإنسانية*، جامعة بابل، العدد ٢١، ٢٠١٥م، ص ٥٦٥.

(٢) شاكر رضا أحمد: *المرجع السابق*، ص١٣٦.

الخاصة بالعناصر الاسكيذية الذين كان لديهم أساليب حربية متطورة في ذلك الوقت بالمقارنة مع القبائل الإيرانية الأخرى.[١]

أما فيما يتعلق بملابس الجيش الميدي، فكانت عبارة عن ملابس تقليدية تتكون من قميص وسروال وأحذية جلدية وغطاء للظهر، فضلا عن القبعة التي تتوسط القميص الحديدي. [٢]

٢.٢ الجيش في عصر الإمبراطورية الأخمينية.

كان الجيش العماد الأساسي للملكية الفارسية، فاستطاعت به أن تحافظ على كيانها، [٣] وتشير أقدم النقوش إلى أن المحاربين كانوا ينقسمون إلى مشاة، وفرسان يمتطون الجياد، وفرسان يستخدمون العربات التى يجر كل منها زوج من الجيل، ويتميز الخيال بما يلبسونه من أحذية تنحني في مقدمتها إلى أعلى، وقد عثر في بعض المقابر على أنواع مختلفة من الأسلحة، والتي منها السيوف والخناجر ورؤوس السهام والدروع، وقد صنعت برمتها من معدني الحديد والبرونز.

وكان التجنيد إجباريًا على جميع الإيرانيين الذين تتراوح أعمارهم ما بين الخامسة عشر والخمسين سنة، ويبدو أن الجندية كانت محبوبة لدى الفرس، حيث تذكر المصادر أن الجند كانوا يخرجون إلى القتال وسط دوى الموسيقى وتهليل الجماهير. [٤]

---

(١) عادل هاشم على: الدولة الميدية (٧٤٥- ٥٥٠ ق.م) أول إمبراطورية في تاريخ إيران القديم، مجلة دراسات إيرانية، العدد ١٣، ٢٠١٠م، ص ٥٨.

(٢) شاكر رضا أحمد: *المرجع السابق*، ص١٣٦.

(٣) عبد النعيم محمد حسنين وآخرون: *المرجع السابق*، ص٤٣٦.

(٤) محمد أبو المحاسن عصفور: *معالم حضارات الشرق الأدنى القديم*، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٢٧٦.

وكان الجيش ينقسم إلى ست فرق، تضم كل فرقة منها ٦٠ ألف جندي، وتتكون كل فرقة من ست كتائب، كل كتيبة منها تحتوي على ١٠٠٠٠ جندي، أما حرس الملك الخاص فكان يتكون من ١٠٠٠٠ جندي، يعرفون باسم الخالدين، وذلك لأنهم كانوا من نسل الأسر الحاكمة في ولاية فارس الأصلية. [١]

وقد احتوى الجيش الفارسي على فرقًا مختلفة، كانت تبعث بها الأقطار الخاضعة للحكم الفارسي، وكان من ضمن هذه الفرق: فرقة المرتزقة اليونانيين، [٢] **فضلا عن فرق أخري من بابل، سوريا، أرمينيا، الخليج العربي، كبدوكية، مرديه، البانيا، بلاد الصغد، الهند، وغيرها من ولايات الدولة الفارسية.** [٣]

كما كان لكل ولاية جيش خاص، يتعهد بحمايتها، ويتولاه قائد إيراني، حيث لم يسمح لسكان الولاية نفسها أن يتولوا مناصب قيادية في جيش الولاية، كما كان جيش الولاية يضم بين صفوفه بعض عناصر الإنكشارية، وذلك حتى يكونوا سند للحامية الإيرانية إذا ما حاول الجنود الوطنيون- أبناء الولاية- التمرد على قادتهم الإيرانيين على نحو ما حدث عندما تمرد الجنود المصريون في قاعدة

---

(١) دونالد ولبر: *إيران ماضيها وحاضرها*، ترجمة عبد النعيم محمد حسنين، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م، ص ٣٠-١.

(٢) ربما كان احتواء الجيش الفارسي على عدد كبير من عناصر المرتزقة اليونانيين هو السبب في عدم قدرتهم على الاستيلاء على بلاد اليونان، وهزيمتهم مرارًا رغم ضخامة جيوشهم أمام الجيوش اليونانية الأقل عددًا، ثم هزيمتهم النهائية أمام جيوش الاسكندر الأكبر واندحارهم التام، انظر:

محمد عبد القادر: *إيران منذ فجر التاريخ حتى الفتح الإسلامي*، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م، ص٨٩.

(٣) نفسه، نفس الصفحة.

اليفانتين ضد القادة الإيرانيين، فتقدم الإنكشاريون وبخاصة اليهود منهم ضد الجنود المصريين. [١]

هذا وقد اقتصرت مهمة جيش الولاية على حفظ الأمن في الولاية، والذود عنها، [٢] **بينما تعهد الجيش الإمبراطوري بالمحافظة على أمن العاصمة المركزية، إلى جانب الإسراع إلى أي إقليم يتعرض لهجوم خارجي أو تشتعل فيه ثورة مناهضة للحكم الفارسي.**

ومن العوامل التي ساعدت الجيش الإمبراطوري في أداء وظائفه، هو أن ملوك الدولة الفارسية ربطوا بين ولاياتها بطرق ممهدة سريعة يسرت لهذا الجيش سرعة الحركة وحرية الإنتقال في إخماد الثورات الداخلية، كما عمد هؤلاء الملوك إلى إنشاء سلسلة من القلاع العسكرية لحماية الولايات من المخاطر الداخلية والخارجية، وقد حظيت مصر بمفردها على أربع قلاع عسكرية وزعت على حدودها المهمة. [٣]

ومما تجدر الإشارة إليه أن الملوك الأخمنيين اقتبسوا كثيرًا من النظم الإدارية والعسكرية الميدية، كما حرصوا على جعل العناصر الميدية جزءًا لا يتجزأ من الجيش الأخميني، لدرجة التي دفعت هيرودوت عندما أشار إلى الحروب الأخمينية اليونانية يوصفها بالحروب الميدية، ويستخدم مصطلح ميديا بدلا من بارس رغم أن دولة الميديين قد أفل نجمها منذ أكثر من قرن من الزمان.

ويؤكد على هذا الإقتباس أيضا ما سجله الملك الأخميني قورش الأكبر (٥٥٩-٥٣٠ ق.م) على آثاره، حيث نجده يذكر ما

---

(١) بديع محمد جمعة: *المرجع السابق*، ص ٥٧.

(٢) جميلة عبد الكريم محمد: *المرجع السابق*، ص٢١٥.

(٣) بديع محمد جمعة: *المرجع السابق*، ص٥٧-٨.

يلي: " تعلمت القوانين الثابتة من الميديين، وفهمت أن التنظيم العسكري عند الميديين يتكون من توزيع الجيش إلى عشرة آلاف وألف ومائة شخص وخمسين شخص وعشر أشخاص وخمسة أشخاص، هي أحسن طريقة لإدارة الجيش... اليوم أصبح جيشي على نفس طراز الجيش الميدي"(١)

وفيما يتعلق بالأسطول، فلا ريب أن تجربة الفرس في ركوب البحر كانت في بداية الأمر أقل منها لدى غيرهم، ولذا كانوا يستعينون بخبرات الأمم البحرية الأخرى كالفينيقيين والمصريين والقبارصة والسوريين واليونانيين في إنشاء إسطول بحري إيراني، ساعدهم على ذلك توفر الأخشاب اللازمة لبناء السفن لاسيما في آسيا الصغرى ولبنان والهند. (٢)

هذا وقد كانت السفن الإيرانية أكبر وأسرع من السفن اليونانية، وكانت تنقسم إلى ثلاثة أنواع وفقًا لاستخداماتها: كان النوع الاول يتضمن السفن الحربية التي تتميز بأن لها ثلاثة صفوف من المجاديف، ويبلغ مقدار حمولتها ٢٣٠ رجل، منهم مائتان من عمال الزراعة، وثلاثون من المحاربين، وكانت هذه السفن تتقدم الأسطول في وقت الحرب، لأن لها مقدمة مدببة، تصدم سفن العدو، فتحطمها، أما النوع الثاني فكان يستخدم لنقل الجنود والخيول، بينما

---

(١) شاكر رضا أحمد: *المرجع السابق*، ص ١٣٧-٨.

(٢) محمد أبو المحاسن عصفور: *المرجع السابق*، ص ٢٧٧؛ شيماء حسين كامل محمود أبو خضرة: *الحياة الإقتصادية في إيران في عصر الدولة الأخمينية في الفترة من (٥٥٩-٤٨٦ ق.م)*، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة المنوفية،٢٠٠٧م، ص٧٣.

استخدم النوع الثالث من هذه السفن لنقل الأمتعة والذخائر، وكان هذا النوع صغيرًا نسبيًا في الحجم. [1]

وقد أدي هذا التفوق البحري إلى عناية الفرس بالتجارة البحرية والعمل على حمايتها وزيادة نشاطها، حيث أرسلوا بعثات استكشافية من الهند إلى البحر الأحمر ومن الجزائر إلى اليونان وإيطاليا، كما شقوا القناة التي تربط النيل بالبحر الأحمر. [2]

---

(1) عبد النعيم محمد حسنين وآخرون: *المرجع السابق*، ص٤٤١-٢.

(2) محمد أبو المحاسن عصفور: *المرجع السابق*، ص ٢٧٧.

الفصل الثاني

الفـــكر الدينـــــــي

١. المعتقدات الدينية قبل الديانة الزرادشتية:

٢. الديانة الزرادشتية:

١.٢ زرادشت.

٢.٢ كتاب زرادشت.

٣.٢ مذهب وتعاليم زرادشت.

٤.٢ معابد النار.

٥.٢ دفن الموتى.

٦.٢ الأعياد الدينية.

الفصل الثاني

الفـــكر الدينـــــــي

١.المعتقدات الدينية قبل الديانة الزرداشتية:

تعـددت الآلهـة فـي إيـران كمـا تعـددت فـي غيرهـا مـن منـاطق الشـرق الأدنـى القـديم، فقـد عبـد العيلاميـون والآريـون فـي مرحلـة مـا قبـل زرادشـت قـوى الطبيعـة، والآلهـة التـي تمثـل قـوى أخلاقيـة وآراء معنويـة مجسـمة، [١] حيـث اعتقـد الآريـون فـي البدايـة أن للظـواهر الطبيعيـة روحًـا وإدراكـا، ثـم تطـور هـذا الإعتقـاد فيمـا بعـد، حيـث وجـدوا إلـه لكـل ظـاهرة مـن الظـواهر، فعبـدوا آلهـة الموجـودات بـدلا مـن الموجـودات نفسـها، فهنـاك رب للنـار وآخـر للهـواء وهكـذا؛ أي أن الآلهـة كانـت تتصـور فـي هيئـة أرواح، وقسـمت هـذه الآلهـة إلـى طـائفتين: الأولـى أرواح الخير والثانية أرواح الشر. [٢]

ولا ريـب فـي أن الأسـباب التـي دفعـت القـوم إلـى الإعتقـاد بوجـود آلهـة تـتحكم فـي مصـائر حيـاتهم كانـت نابعـة مـن غـايتين: أولهمـا التـأمين الإقتصـادي وذلـك عنـدما شـعر الإنسـان الإيرانـي القـديم بالحاجـة الماسـة إلـى إرضـاء قـوى الطبيعـة المتحكمـة فـي الإنتـاج الزراعـي والـوفر الإقتصـادي وبالتـالي التسـويق التجـاري واسـتقرار المجتمـع وشـئونه الحياتية.

---

(١) علـي كسـار غـدير سـلطان الغزالـي: العبـادات والشـرائع الدينيـة الفارسـية قبـل الإسـلام ودورهـا فـي حضـارة بـلاد الفـرس، *مجلـة جامعـة كـربلاء العلميـة*، المجلـد ٥، العـدد ٤ ، ٢٠٠٧، ص ٣٠٧.

(٢) أرواد عـدنان العـلان: *الدولـة الإشـكانية (الإيرانيـة): الحيـاة السياسـية والإجتماعيـة والإقتصادية*، دار أرسلان، دمشق، ٢٠١١م، ص ١٢٠.

أما الغاية الثانية فتتعلق بما يمكن تسميته بالأمن الوقائي، تلك الغاية التي تتصل بحماية الأفراد ووقايتهم من الأمراض والشرور المختلفة، وكذلك حماية المجتمع من التهديدات البشرية والطبيعية التي كان من المحتمل أن يتعرض لها. [1]

وعلى أية حال، فيمكن حصر أهم المعبودات التي سادت عبادتها في إيران في مرحلة ما قبل زرادشت على النحو التالي:

١. بينيكير:

هي إلهة عيلامية ورد اسمها في معاهدة "ترام سين"، وكان مقر عبادتها في مدينة سوسة منذ زمن بعيد، وتعادل الإلهة "عشتار" عند الآشوريين، وقد ذكرها الملك الآشوري آشور بانيبال من بين الآلهة التي هدمت دور عبادتها.

٢. ناهونتا:

هو إله الشمس، وقد قام الملك العيلامي "أونتاش دجال" ببناء معبد له في "سوسة" و"شوجا- زانبيل"، حيث قام بوضع تمثال ليشكر الإله، لأنه لبى دعوته وحقق امنياته ، وكان هذا الإله في نظر العيلاميين يشبه الإله شمش إله العدالة البابلي؛ لذلك اعتبروه إله العدالة، وقد سمي بعض الملوك أنفسهم "خدام ناهونتا" واعتبروه الحامي الوحيد لهم. [2]

٣. هوما:

هو الثور المقدس الذي زعم القوم إنه مات ثم بعث حيًا ليمنح البشر دمه ليسبغ عليهم نعمة الخلود، ويعادل هذا الإله سوما

---

(١) رشيد الناضوري: *المدخل في دراسة بعض جوانب العطاء الفكري لإنسان الشرق الأدنى القديم*، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٩م، ص١٦٠-١.

(٢) عبد الحميد زايد: *الشرق الخالد*، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦م، ص٥٥٧، ٥٥٩.

عند الهنود، وكان الفرس يعبدون هذا الإله بشرب عصير الهوما المقدس اعتقادًا منهم أن هذا العصير سيمنحهم الخلود، وكان هذا العصير يستخرج من نبات القنب الهندي.[١]

٤. جال:

يعرف أيضًا باسم خومبان بمعنى العظيم، وكان يتحد في بعض الأحيان مع المعبود "انشوشيناك"، وكان البابليون يساونه بالإله مردوك، الخالق، رب بابل، كما كان جال بمثابة الإله الشخصي للملوك العيلاميين. [٢]

٥. أناهيتا:

هي إلهة الماء والخصوبة والولادة، وهناك من يرى أنها تمثل صورة من الإلهة عشتار البابلية التي وفدت إلى فارس حينما أخضعها البابليون، وقد أقيمت لها التماثيل في عدد من المدن الإيرانية. [٣]

وقد صورت هذه الإلهة وعلى رأسها تاج من الذهب به مائة نجم مثمنة الاشعة – وهي نجمة الإلهة عشتار البابلية– بها عصاب للرأس، وتضع في أذنيها أقراط من ذهب مربعة الشكل، وعلى صدرها عقد من الذهب، وارتدت ثوبًا مطرزا بالذهب وقد شد الرداء بحزام، كما كان يوجد في يدها حزمة من بعض الأغصان.

وقد اعتبرها الإيرانيون نهرًا يفيض بالماء، وأنها صاحبة قنوات طويلة، كما تصورها الإيرانيون تُجهز نطف الرجال لإخصاب النساء، وعلاوة على ذلك، كانت أناهيتا مسئولة عن حفظ الجنين في

---

(١) جفري بارندر: *المعتقدات الدينية لدى الشعوب*، ترجمة إمام عبدالفتاح إمام، مراجعة عبد الغفار مكاوي، عالم المعرفة، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٩٥، ٣٦٥.

(٢) عبد الحميد زايد: *المرجع السابق*، ص٥٥٧–٨.

(٣) عبد المنعم محمد مجاهد: *الشرق الأدنى القديم: العراق– إيران –شبه الجزيرة العربية*، مكتبة بستان المعرفة، كفرالدوار، ٢٠٠٩، ص١٧٨.

الـرحم، وبعـد الوضـع تقـوم علـى جعـل اللـبن يسـيل فـي صـدر المـرأة، كمـا كانت تمنح الرجل الصحة والعافية وتنمي حقوله ومراعيه. [١]

٦. مترا:

ويعنـــي اســـمه العقـــد أو الإتفـــاق لـــذلك اعتبـــر الإيرانيـــون هـــذا الإلـــه إلـــه العقـــود والاتفاقـــات، فهـــو يحفـــظ الحـــق والنظـــام، ويقضـــي علـــى قـــوى الشـــر والغضـــب والجشـــع والمماطلـــة، كمـــا وصـــف هـــذا الإلـــه بأنـــه محـــارب جبـــار، لـــذلك كـــان الفرســـان يتعبـــدون لـــه – وهـــم علـــى ظهـــور جيادهم– قبل الذهاب لساحات الوغى. [٢]

وكـــان قـــرص الشـــمس مـــن أهـــم رمـــوز هـــذا الإلـــه، كمـــا كـــان الحصـــان كـــذلك أحـــد الرمـــوز الحيوانيـــة للإلـــه متـــرا، فقـــد ظهـــر الحصـــان المجنح كرمز له على بعض أواني الفخار من سيالك. [٣]

وقـــد صـــور هـــذا الإلـــه علـــى أنـــه الثـــور ذو القـــرون الذهبيـــة، والحصـــان ذو الآذان الذهبيـــة، وأنـــه الجمـــل، وأنـــه الغـــراب الأســـود، والكـــبش الوحشـــي، والوعـــل، ومـــن الجـــائز تمثيلـــه علـــى هيئـــة شـــاب أو رجل بالغ.

وكانـــت تقـــام للإلـــه متـــرا الأعيـــاد التـــي يُضـــحي فيهـــا القـــوم بثيـــران أحيانـــا حتـــى زمـــن الأخمنيـــين، كمـــا كانـــت تقـــدم لـــه الخيـــول قربانًـــا فـــي أول أيام السنة. [٤]

٧. أنشوشيناك:

يعنـــي اســـمه باللغـــة الســـومرية ســـيد مدينـــة شـــوش (سوســـة)، وربمـــا كانـــت التســـمية ترجـــع إلـــى تـــأثير العلاقـــات المتبادلـــة بـــين الشـــعبين

---

(١) عبد الحميد زايد: *المرجع السابق*، ص٦٥٦.

(٢) كامـــل ســـعفان: *معتقـــدات آســـيوية (العـــراق –فـــارس– الهنـــد – الصـــين –اليابـــان)*، دار الندى، مدينة نصر، ١٩٩٩م، ص٩٤.

(٣) عبد المنعم مجاهد: *المرجع السابق*، ص ١٨٠.

(٤) عبد الحميد زايد: *المرجع السابق*، ص٦٥٥.

العيلامي والسومري، وقد تعاظم مركز هذا الإله بمرور الزمن، وانتشرت عبادته بشكل خاص في عهد الملك "شيلهك انشوشيناك"، وشكل انشوشيناك مع خومبان وكريريشا في العصر العيلامي الوسيط الثالوث المهم في المجتمع الديني العيلامي. (١)

وقد شبه الآشوريون أنشوشيناك بالإلهين البابلين "تينورتا" و"أدد"، ولكن غالبًا ما كانوا يعتبرونه "إله الملك" أكثر من اعتباره كإله العاصفة أو إله للخصب أو إله للحرب، وقد كان الملوك يعتبرونه مانح السلطة لهم، ويقدمون له الشكر لمعاونته لهم في الحرب وفي السلم، ولكنه كان في نظر العيلاميين من القوى الخفية الغامضة. (٢)

٨. عبادة العناصر الطبيعية:

تتميز الديانة الإيرانية القديمة بعبادة العناصر الأربعة للطبيعة، وهي النار والهواء والماء والأرض، حيث اعتبروا كل عنصر من هذه العناصر إلها، فعبدوا النار كإلهة باسم "اتار" ممثلة في كوكبيها العظيمين الشمس والقمر، وعبدوا الهواء كإله باسم" فاهيو"، أما الماء فقد عرف كإله باسم" ابام –نابات"، بينما الأرض عرفت كإلهة باسم "زام". (٣)

---

(١) عزة علي أحمد جاد الله: *العلاقات العراقية الإيرانية خلال الألف الثالث قبل الميلاد*، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، ٢٠١١م، ص١٢٧.

(٢) عبد الحميد زايد: *المرجع السابق*، ص٥٥٨.

(٣)عبد المنعم مجاهد: *المرجع السابق*، ص ١٨١.

٢.الديانة الزرادشتية:

٢.١ زرادشت:

تباينت آراء الباحثين حول شخصية زرادشت، فهناك فريق من الباحثين من أنكر وجوده، ورأى فيه مجرد شخصية أسطورية، بينما ذهب فريق أخر إلى أن زرادشت شخصية حقيقية وأنه سيدنا ابراهيم -عليه الصلاة والسلام- وأن أسفار الأوستا ما هي إلا صحف إبراهيم التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وقد دعم هذا الفريق رأيه على أساس ما يلي:

١. التشابه بين ما تذكره الكتب المقدسة حول حياة إبراهيم الخليل وما تذكره الأساطير الفارسية حول حياة زرادشت لاسيما ما يتعلق باتجاه كليهما إلى التأمل في كواكب السماء.
٢. إلقاء سيدنا إبراهيم الخليل في النار وجعلها بردًا وسلامًا عليه { قلنا يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم}، وتقديس زرادشت للنار.

وبالإضافة إلى ذلك، هناك رأي ثالث يقر بأن شخصية زرادشت شخصية حقيقية، وأنه غير إبراهيم الخليل، ويعتمد أنصار هذا الرأي على عدة أدلة يمكن إيجازها فيما يلي:

١. إن إبراهيم عليه السلام من الجنس السامي وزرادشت من الجنس الآري.
٢. إن ابراهيم عليه السلام لم يذهب إلى فارس، بل يحدثنا القرآن الكريم عن رحلة إبراهيم إلى مكة، ولو كان سيدنا إبراهيم هو زرادشت لكانت الديانة الزرادشتية قد ظهرت في مدينة أور جنوب العراق

مكان إقامة سيدنا إبراهيم أو في شبه الجزيرة العربية أو في سوريا.

٣. إن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام قد ظهر في القرن السابع عشر ق.م أما زرادشت فقد ظهر في القرن السابع ق.م، أي أن ظهور سيدنا ابراهيم كان قبل ظهور زرادشت بنحو عشرة قرون. [١]

وعلى أية حال فقد نسجت الأساطير حول حياة زرادشت، فمن الأساطير من تزعم بأنه ولد ضاحكا رافعا وجهه ويديه نحو السماء، وأنه حدث ليلة مولده معجزات شتى رآها الخاصة والعامة، ومنها أنه تحدى بعض مشاهير السحرة في عصره فحولوا أن يهلكوه بكل ما اوتوا من علم وقوة غير أن محاولتهم باءت بالفشل.

ومنها أيضا أن زرادشت دخل جسد أمه، وكانت امرأة من سلالة الأشراف على هيئة وميض من البرق، وكان هذا رمزا لرسالته في الحياة (أن يجلب النور لأبناء الظلام)، وما أن خرج إلى العالم حتى انفجر ضاحكا فولت أرواح الشر التي كانت تحيط بمهده هاربة في اضطراب وانزعاج، ونتيجة لذلك تهللت الطبيعة كلها وأخذت أوراق الأشجار ذاتها تنشد بحفيفها نشيد المجد وترنمت معها الرياح والأنهار بالنشيد العام الجامع. [٢]

وأما التاريخ فيحدثنا أن زرادشت ولد في إقليم أذربيجان في عام ٦٦٠ ق.م، حيث نشأ في بيئة ريفية متوضعة لا تستطيع أن

---

(١) علي كسار غدير سلطان الغزالي: *المرجع السابق*، ص٣٠٧-٨.

(٢) حربي عباس عطيتو محمود: *اتجاهات التفكير الفلسفي في حضارات الشرق القديم*، أورينتال، الإسكندرية، ٢٠٠٨، ص٨٨.

تحمي نفسها من غارات جيرانها، ولذلك كان أكبر ما يشغله أن ينجو بأسرته من غزو القبائل الرحالة التي كانت تتهددهم. [١]

ولما بلغ زرادشت سن العشرين انقطع عن الناس وخلا بنفسه يتفكر ويتأمل في حقيقة الكون ومحتويات الطبيعة وما ورائها، فآثر العزلة والرياضة الروحانية والتأمل العميق في ملكوت السماء والأرض،[٢] **ثم ما لبث أن بدأ زرادشت دعوته في عمر الثلاثين، غير أنه فشل في إقناع الناس بدينه على مدار ١٢ عاما، فهاجر إلى طوران التي يضرب بها المثل في معاداة إيران، غير أنه لم ينجح هناك أيضًا.**

وفي أعقاب هذا الفشل ذهب زرادشت إلى مدينة بلخ عاصمة الملك "كوشتاسب"، وهناك نجح في إقناع الملك بدعوته الجديدة لدرجة التي جعلت الملك يأخذ على عاتقه نشر الزرادشتية حتى صارت دين الدولة الرسمي. [٣]

وقد قضى زرادشت نحبه في عام ٥٨٣ ق.م وهو في السابعة والسبعين في أحد الهياكل المقدسة بمدينة بلخ في أثناء غارة من الطورانيين على بلاد الفرس، فبقي بعد وفاته كتابه الذي يعرف باسم الأبستاق، والذي يتضمن الديانة الزرادشتية. [٤]

---

(١) محمد غلاب: *الفلسفة الشرقية*، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٠م، ص١٨٥.

(٢) علي كسار غدير سلطان الغزالي: *المرجع السابق*، ص٣٠٨.

(٣) محمد عيسى كاظم: الزرادشتية والإسلام أوجه الشبه في عقائد الديانتين، *مجلة واسط للعلوم الإنسانية*، العدد ١٤، ٢٠١٠ م، ص١٨١-٢؛ لطفي وحيد: *أشهر الديانات القديمة*، مكتبة معروف، الإسكندرية، ١٩٩٣م، ص٤٢-٣.

(٤) ميرسيا إلياد: *تاريخ المعتقدات والافكار الدينية*، ترجمة عبد الهادي عباس، الجزء الأول، دار دمشق، دمشق، ١٩٨٧، ص٣٩٠؛ علي كسار غدير سلطان الغزالي: *المرجع السابق*، ص٣٠٨.

٢.٢ كتاب زرادشت:

يطلق على الأسفار المقدسة للديانة الزرادشتية اسم الأبستاق، وهو تعريب لكلمة الأفستا أو الأوستا ومعناها المتن أو السند، وقد فقدت جميع نسخ الأفستا بعد غزو الإسكندر لبلاد فارس في عام ٣٣٠ ق.م، وفقدت معها جميع تفاسيرها، ولم يبق من نص الأفستا التي قسمت إلى ٢١ كتابًا إلا خمسة أسفار فقط هي:

١. **يسنا: وهو من أهم الأجزاء، ومعناها العبادة أو التسبيح، ويشتمل على أدعية وصلوت وإشارات إلى تاريخ الديانة الزرادشتية، ويتكون من ٧٢ فصلًا [١] أو هات كما يُسمى عند الزرادشتيين، وتعد الفصول الأولى من هذا السفر الأكثر قداسة، وذلك لأن الزرادشتيون يعتقدون أنها من نظم زرادشت نفسه.**
٢. **ويسيرد: ومعناه "كل السراه"، وهو ليس كتابًا قائما بذاته، بل ملحق من ملحقات اليسنا، ويطلق على كل فصل من فصوله اسم (كرده) وتتراوح عدد فصوله ما بين ٢٣ و٢٧ فصلًا. [٢]**
٣. **وانديداد: ومعناه القانون المضاد للشياطين، ويتألف من ٢٢ فصلا، ويتحدث عن خلق السموات والأرض والعقائد والشرائع الزرادشتية، كما تتعلق فصوله بالموت والزواج ومشكلات الحياة الإجتماعية والنجاسة والطهارة وغير ذلك.**
٤. **يشتات: ومعناه الترنيمات أو المزامير، وهي إحدى وعشرون ترنيمة من أصل ثلاثون تتلى في مدح الخالق و الملائكة، [٣] وفيها عدد من**

---

(١) علي كسار غدير سلطان الغزالي: *المرجع السابق*، ص٣٠٨.

(٢) أحمد أمين سليم: *دراسات في حضارة الشرق الادنى القديم (العراق- ايران)*، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢م، ص ٣٥٤-٥.

(٣) علي كسار غدير سلطان الغزالي: *المرجع السابق*، ص٣٠٩.

الفقرات التي تشير إلى بعض الأحداث التاريخية التي صيغت في قالب أسطوري.

٥. خرده أوستا: ومعناه الأبستاق الصغير أو مختصر الأبستاق، وهو سفر جامع للأدعية والصلوات الخاصة بكل وقت، ويشتمل كذلك على الأيام المباركة من الشهر، والأعياد الدينية، وأوقات الصحة والمرض، وفصول هذا الكتاب مستخرجة من الأبستاق الكبير مع إدخال بعض التعديلات في أول وأخر كل منها بما يلائم الصلاة والدعاء في كل مناسبة.

ويبدو أن الأوستا كانت على درجة كبيرة من الغموض بحيث لم يكن بوسع أي زرادشتي أن يفهمها، الأمر الذي دفع رجال الدين إلى عمل عدد من الشروح والتفاسير المختلفة لها، [١] والتي منها:

١. الزند: هو الشرح المباشر للأوستا، والذي يعد ترجمة بهلوية للنصوص الأوستية مع شروح باللغة الساسانية، وكان بعض المتزمتين من الزرادشتيين يتمسكون بالأوستا ولا يعترفون بالزند، ويعتبرون من يعول على هذا الشرح خارجًا على أصول الشريعة الزرادشتية ويسمونه زنديًا، وقد تكون كلمة زنديق في العربية معربة من هذا الأصل الفارسي.

٢. البازند: هو تفسير للزند، وبالتالي شرح للاوستا، وقد كتب باللغة البهلوية.

٣. الايارده: هي شرح لشرح الأوستا، أي تفسير لتفسير التفسير. [٢]

---

(١) أحمد أمين سليم: *المرجع السابق*، ص٣٥٥-٦.

(٢) علي كسار غدير سلطان الغزالي: *المرجع السابق*، ص٣٠٩.

٣.٢ مذهب وتعاليم زرادشت.

ثار زرادشت على الدين الآري القديم القائم على مبدأ التعددية، وأعلن في شجاعة وصراحة أنه ليس في العالم إلا إله واحد، هو أهورامزدا إله النور والسماء، وأن ما عداه من الآلهة مظاهر له، وصفات من صفاته. (١)

ويقوم الفكر الديني الزرادشتي على أساس أن العالم قائم على أصلين هما النور والظلام، وهذان الأصلان في نزاع دائم، ويتمثلان في قوتين هما قوة الخير التي يمثلها الإله أهورامزدا وقوة الشر التي يمثلها اهريمان، ولكل منهما عددٌ من المساعدين والاتباع، فالإله (اهورامزدا) يساعده سبعة ملائكة تعرف باسم "Amesh-Spentas" أي القوى الخالدة المقدسة، وهي تقف أمام عرش اهورامزدا وتنفذ أوامره، ويدير العالم بواسطتهم. (٢)

وبالإضافة إلى هؤلاء الملائكة السبعة كان هناك كائنات أخرى تعرف باسم الملائكة الحراس، وقد اختص كل رجل وكل امراة وكل طفل بواحد منها، ويقابل هؤلاء الملائكة الذين يعينون الناس على التحلي بالفضيلة سبعة شياطين أو أرواح شريرة تحوم في الهواء وتغوي الناس على ارتكاب الخطايا، وتدخل في صراع دائم مع اهورمزدا، لكن الغلبة في النهاية تكون لإله الخير اهورامزدا. (٣)

وفيما يتعلق بالمصير الآخروي للروح، فقد ذكر زرادشت أنه عندما تنتهي مهمتنا في الحياة فسيدعى كل إنسان ليقدم حسابا عن عمله، وكان لابد لأرواح الموتى بأجمعها أن تجتاز قنطرة ممتدة

---

(١) عبد النعيم محمد حسنين وآخرون: *المرجع السابق*، ص٤٤٦.

(٢) محمد عبد السلام كفافي: *في أدب الفرس وحضارتهم*، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١م، ص ١٩٨-٢٠٢.

(٣) حربي عباس عطيتو محمود: *المرجع السابق*، ٩٢-٣.

فـــوق الجحـــيم، فـــالأرواح الخيـــرة ســـتتمكن مـــن اجتيـــاز هـــذا الصـــراط، وهنـــاك ســـيقوم الإلـــه أهـــورامزدا باســـتقبالهم، وســـيحظون بحيـــاة أبديـــة كلها سعادة وغبطة في كنف الإله.

أمـــا الأرواح الشـــريرة، فسيســـقط أصـــحابها فـــي هـــوة مـــن الظلمـــة فـــي خارجهـــا يطعمـــون سُـــمّا زعافًـــا، أمـــا الـــذين اســـتوت حســـناتهم وســـيئاتهم، فـــإنهم يوضـــعون فـــي مكـــان فســـيح بـــين الســـماء والأرض يقاســـون فيـــه ألـــم الحـــر والبـــرد، ويحســـون بجميـــع التغيـــرات الجويـــة، ويظلـــون منتظـــرين فـــي أمـــل ورهبـــة الحكـــم الأخيـــر علـــى مصـــيرهم الـــذي يظل مظلما ما داموا في هذا المكان. [1]

هـــذا وقـــد دعـــا زرادشـــت إلـــى عـــدد مـــن المبـــاديء الخلقيـــة، والتـــي منهـــا حســـن معاملـــة الآخـــرين، واحتـــرام العهـــود بكـــل أنواعهـــا، وقـــول الحـــق والصـــدق، فضـــلا عـــن التحلـــي بالأمانـــة و العدالـــة وغيرهـــا مـــن الأخلاق الحميدة.

كمـــا دعـــا زرادشـــت إلـــى عـــدم الإعتمـــاد علـــى الآخـــرين، إلـــى جانـــب دعوتـــه إلـــى عـــدم اليـــأس والرضـــا بالقـــدر، حيـــث جـــاء فـــي كتابـــه "إنـــس كـــل مـــا مضـــى، ولا تقلـــق علـــى مـــا لـــم يـــات بعـــد" ، وعـــلاوة علـــى ذلـــك، حـــث زرادشـــت الأفـــراد علـــى التـــزود بـــالعلم والمعرفـــة، وإلـــى عـــدم الوقـــوع فـــي الدين.

وبالإضـــافة إلـــى ذلـــك، راعـــت العقيـــدة الزاردشـــتية النظافـــة الشخصـــية والإحتفـــاظ بطهـــارة عناصـــر الطبيعـــة مـــن مـــاء ونـــار وهـــواء وتـــراب، فقـــد ورد فـــي الونديـــداد " أنـــه ينبغـــي أن يتمتـــع المـــرء ببـــدن صـــحي ســـليم، ومـــن ثـــم فقـــد كـــان مـــن الواجبـــات الدينيـــة أن يحـــرص المـــرء

([1]) حربي عباس عطيتو محمود: *المرجع السابق*، ٩٧-٨.

علـى نظافـة جسـمه وداره، فضـلا عـن الحـي الـذي يعـيش فيـه، ومـن ثـم يستطيع المرء أن ينال الكمال والخلود" [١]

٤.٢ معابد النار:

كانـت الديانـة الزرادشـتية تمجـد النـار وتقدسـها، لدرجـة التـي جعلتهـا العنصـر الـرئيس فـي المعابـد حتـى أن المعبـد الزرادشـتي صـار يعـرف باسـم "اتـش كـاه" بمعنـى بيـت النـار، وذلـك لأن النـار هـي أقـوى الرمـوز الدالـة علـى الإلـه، كمـا إنهـا رمـز للإشـراق والضـياء، فضـلا عـن أنهـا تمثـل فـي نظـر الزرادشـتي رمـزا للطهـارة والنقـاء، وهـي غيـر قابلـة للفسـاد، لـذا فقـد صـارت النـار سـلاحا بيـد المـؤمن يحـارب بـه أهريمـان المتمثـل بالظلمـة، ومـن ثـم فقـد أصـبحت النيـران فـي المعابـد الزرادشـتية دائمة الاشتعال، وذلك للتأكيد على وجود إله الخير وعلو كلمته. [٢]

وبسـبب هـذه القدسـية التـي حظيـت بهـا النـار فـي الديانـة الزرادشـتية، فقـد شـرع الزرادشـتيون ببنـاء هياكـل لإيقـاد النيـران فيهـا، ويبـدو أن التعـاليم الدينيـة كانـت لا تجيـز أن تصـل الشـمس الـى النـار المقدسة، لذا فقد روعي أن يوضع هيكل النار في غرفة مظلمة.

هـذا وقـد وجـد ثـلاث درجـات متفاوتـة مـن النـار علـى حسـب النظـام الأسـري فـي إيـران، فكـان هنـاك نـار المنـزل، ونـار القبيلـة أو القريـة (اذران)، ونـار الكـورة (بهـرام أو هـرام)، وكانـت نـار البيـت منوطـة بـرب البيت(المانبـذ)، بينمـا كانـت خدمـة نـار القريـة تقـع علـى

---

(١) محمـد بيـومي مهـران: *حضـارة الشـرق الأدنـى القـديم (الحيـاة الدينيـة)*، الجـزء الثـاني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١١م، ص٤٣٠-٦.

(٢) علـي هـادي حمـزة الحيـدري: *الأحـوال الاجتماعيـة فـي الدولـة الساسـانية ((٢٢٤ ٢٢٦-٦٥١ م)*، رسـالة ماجسـتير غيـر منشـورة، كليـة التربيـة، جامعـة بابـل، ٢٠٠٦م، ص ٢٦٧.

عاتق اثنين من الهرابذة، في حين كانت خدمة نار الكورة تقع على عاتق هيئة من الهرابذة يرأسها موبذ. [1]

كما كانت بيوت النار تنقسم إلى ثلاثة أنواع وفقا للطبقات الإجتماعية التي أوجدها الحكيم زرادشت، وهي كما يلي:

١. **بيت نار اذر كشنسب: وهي النار الملكية ، ويقع معبدها في مدينة شيز في إقليم أذربيجان ، وكان الملوك الساسانيون يحجون إلى هذا البيت عند توليهم مقاليد الحكم، وفي أوقات الازمات والحروب ، ويهدون إليه الهدايا والمنح كالأراضي .**
٢. **بيت نار اذر فريغ: وهي نار رجال الدين، واختلف الباحثين في تحديد مكان هذا البيت، فهناك من يرى أنه كان يقع في مدينة كابل في أفغانستان، بينما ذهب فريق آخر من الباحثين إلى أنه كان يقع في مدينة كاريان في إقليم فارس.**
٣. **بيت نار اذر برزين مهر: وهي بيت نار الفلاحين الذي يقع في شمال مدينة نيسابور.**

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن هذه البيوت كانت تنسب في إنشائها لزرادشت، أو لأبطال خرافيين، لذا فقد تمتعت بقدسية كبيرة، وقد بلغ من عظم مكانة هذه البيوت الثلاثة ان تؤخذ من نيرانها لتجديد نيران المعابد الصغيرة، أو لإيقاد النار في المعابد الجديدة، وكان استمرار اشتعال النار المقدسة يعد من المهام الاساسية التي يقوم بها خادم بيت النار، لذا يتوجب توفير الاخشاب

---

(١) أرثر كريستنسن: *إيران في عهد الساسانيين*، ترجمة يحي الخشاب، مراجعة عبد الوهاب عزام، دار النهضة العربية، بيروت،١٩٨٢م، ص ١٥٢.

المنتقاة من خشب الراسن أو اللبان أو أي نوع من الاخشاب العطرية.

وكان التكفير عن الذنوب والاخطاء في كثير من الأحيان يتم بقيام الشخص المذنب بتقديم عدد من أحمال الخشب الصلب اليابس إلى بيت النار، ولأهمية النار فقد جعل اليوم السابع من شهر يور (الشهر السادس) عيدا للنيران، حيث يوقد الناس النار في بيوتهم في ذلك اليوم، ويكثرون من عبادة الإله، وزيارة بيوت النار، وتقديم القرابين لها. [١]

٥.٢ دفن الموتى:

كان الموتى لا ينبغي دفنهم في الارض، ولا حرقهم، ولا اغراقهم، خوفًا من تدنيس العناصر الثلاثة المقدسة، وهي الارض والماء والنار، وعلى ذلك فقد كانوا يتركون جثث الموتى فوق الجبال في الهواء الطلق أو فوق الأبراج التي كانت تُقام من أجل هذا الغرض، ثم تُخفى العظام في مكان مخصص لذلك. [٢]

ويُلاحظ أن هذه التقاليد الدينية في دفن الموتى عند الزرادشتيين كانت معروفة عند بعض العناصر الأناضولية في العصر الحجري الحديث، حيث كانوا يتركون جثث الموتى في الهواء الطلق حتى تنهشها الطيور. [٣]

٦.٢ الأعياد الدينية:

كان للزرادشتيين كثير من الأعياد والمناسيات الدينية، والتي كانت في الأصل مما يحتفل بها الفلاحون، ثم اصطبغت بصبغة

---

(١) علي هادي حمزة الحيدري: *المرجع السابق*، ص٢٧١-٢.

(٢) عبد المنعم مجاهد: *المرجع السابق*، ص ١٨١.

(٣) رشيد الناضوري: *المرجع السابق*، ص١٥٦-٧.

رسمية، وأصبح لها طابع ديني يقوم رجال الدين بطقوسها، ويصاحبها المرح والملاهي الشعبية.

وكان عيد النوروز واحد من أهم الأعياد الدينية الفارسية، وهو يوم رأس السنة، ويحتفل به رسميا، فتجبى الضرائب وتقدم الهدايا للملك ويدوم هذا العيد ستة أيام، ومن الأعياد الدينية المهمة أيضا عيد المهرجان، وهو عيد مترا الذي يحتفل به في يوم مهر (١٦ من شهر مهر)، وهو عيد خلق الانسان والأرض، كما كان هناك عيد الربيع وعيد أكل الثوم وعيد التبخر وغيره من الأعياد التي كان يحتفل بها في كل شهر من الأشهر الفارسية، وترتبط ببعض الأساطير والمناسبات البطولية. [١]

(١) عبد المنعم رشاد محمد: المعتقدات الدينية في فترة الإحتلال الساساني، *موسوعة الموصل الحضارية*، المجلد الأول، الطبعة الأولى، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩١، ص٣٣٢.

الفصل الثالث

الآداب والعلـــــوم

١. اللغة والخط.

٢. الأدب.

٣. القانون.

٤. الموسيقى.

٥. الفلك والتقويم.

٦. الحساب.

٧. السحر

٨. الطب.

الفصل الثالث

الآداب والعلـــوم

١ .اللغة والخط:

تعد اللغة الإنزانية (العيلامية) من أقدم اللغات التي عرفتها إيران في العصور القديمة، وقد تلاشت هذه اللغة في الألف الثالث قبل الميلاد، حيث حالت محلها اللغة السومرية واللغة السامية. وفي عام ١٥٠٠ قبل الميلاد تم إحياء اللغة الأنزانية مرة أخرى، وهذا يدل على أن هذه اللغة لم تكن قد تلاشت بشكل نهائي، وإنما ظلت مستخدمة بين الأهالي، ولكن النقوش كانت تكتب باللغتين السومرية والسامية. (١)

أما عن الخط الذي استخدمه العيلاميون في كتابة لغتهم العيلامية فكان الخط المسماري، وهو عبارة عن رموز وعلامات على هيئة مسمار ويكتب أفقيا أو عموديا، وقد اقتبس العيلاميون هذا الخط من السومريين، غير أن الخط العيلامي المسماري تميز عن نظيره السومري بأنه خط مستقيم، وبالتالي كانت رموز الخطين متباينة. (٢)

وفيما يتصل باللغة الميدية، فأنه ليس بين أيدينا آثار مكتوبة من قبل الميديين أنفسهم، الأمر الذي أدي إلى تباين أراء الباحثين حول أصل هذه اللغة، حيث ذهب فريق من الباحثين إلى أن اللغة الميدية هي إحدى اللغات الآرية التي ترتبط باللغة الفارسية

---

(١) حسن برينيا: *المرجع السابق*، ص ٢٧.

(٢) عامر سليمان: بلاد عيلام وعلاقتها بالعراق القديم، *مجلة آداب الرافدين*، عدد١٤، الموصل،١٩٨١م، ص ١٨١؛ حسن برينيا: *المرجع السابق*، ص ٢٧.

القديمة، بينما ذهب فريق أخر إلى أن اللغة الميدية ليست من عائلة اللغات الآرية. [١]

ويبدو أن الرأي الأول هو الاكثر ترجيحا، وذلك لأن الفرس والميديين كانوا قادريين على التفاهم فيما بينهم، ولا يمكن أن يتم هذا التفاهم وهذا التخاطب بين الشعبين الميدي والفارسي إلا إذا كانت لغتهما متقاربة. [٢]

أما عن اللغة التي استخدمها الفرس فكانت لغة آرية تشعبت إلى لغتين على حسب الاستخدام: أولهما اللغة الأوستائية، وهي اللغة التي كان يستخدمها رجال الدين في طقوسهم وفي تدوين الأبستاق، وثانيهما اللغة الفارسية القديمة، وهي الأصل الذي تفرعت منه اللغات البهلوية الإشكانية والساسانية فيما بعد، وهي أيضا اللغة التي استخدمت في نقش بهستون ونقش رستم وسائر الألواح التي بقيت عن العصر الأخميني. [٣]

وبعدما مارس الفرس الكتابة، استخدموا الخط المسماري البابلي لكتابة وثائقهم، وقاموا بتبسيط مقاطع اللغة البابلية الكثيرة، فأنقصوها من ٣٠٠ مقطع إلى ٣٦ مقطعًا، تبدلت شيئا فشيئا من مقاطع إلى حروف حتى صارت حروفا هجائية مسمارية.[٤]

بيد أن اتساع الدولة الفارسية وإنضواء أقوام متحضرة تحت لوائها جعل من الصعوبة بمكان استعمال اللغة الفارسية المكتوبة

---

(١) شاكر رضا أحمد: *المرجع السابق*، ص١٣٣.

(٢) بديع محمد جمعة: *المرجع السابق*، ص٧٦؛ شاكر رضا أحمد: *المرجع السابق*، ص١٣٣.

(٣) بديع محمد جمعة: *المرجع السابق*، ص٧٧.

(٤) إياد محمد حسين: العوامل المؤثرة في تطور اللغة الفارسية، مركز *بابل للدراسات التاريخية والحضارية*، العدد السادس، ٢٠١٣م، ص ٢٦٩.

بالخط المسماري، فظلت العيلامية في عيلام والبابلية في بلاد بابل، واضطر الفرس إلى استخدام اللغة الآرامية لتكون اللغة التي تكتب بها الرسائل بين الأقاليم المختلفة، والسبب في ذلك يرجع إلى أن اللغة الآرامية كانت هي اللغة العالمية وقتذاك. [1]

كما عمد الفرس أيضًا إلى استخدام الخط الآرامي لكتابة لغتهم إلى جانب الخط المسماري، وذلك نظرًا لصعوبة الخط المسماري الأخميني، [2] **وبناء على ذلك لم تعد اللغة الفارسية القديمة واللغة العيلامية واللغة البابلية تستعمل إلا في كتابة النصوص التاريخية على المباني والتماثيل.** [3]

٢.الأدب:

كان من أثر اختراع الكتابة في إيران أن تقدم الأدب بكل فروعه، فقد عثرنا في مدينة سوس على أول معاهدات للتحالف أو الولاء أو الخضوع، وقد كتبت هذه المعاهدة باللغة العيلامية، وحررت بنوع من الوعي السياسي، فمثلا نقرأ: "عدو نرام سين هو عدوي، وصديق نرام سين هو صديقي.

وفي العصر الأخميني حررت الحوليات الملكية بنفس الطريقة، أما عن الأدب الديني، فقد تمثل في الكتب المقدسة التي

---

(١) طه باقر: *المرجع السابق*، ص٤٧٨؛ عيد مرعي: *اللسان الأكادي: موجز في تاريخ اللغة الأكادية وقواعدها*، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٢م، ص٣٣.

(٢) طه باقر: *المرجع السابق*، ص٤٧٨.

(٣) محمود أمهز: *في تاريخ الشرق الأدنى القديم*، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠١٠، ص٣٠٦.

احتوتها الأوستا وأقدم أجزائها عبارة عن أناشيد ذات طابع حربي وترجع إلى عصور قديمة. [1]

كما احتوت الأوستا على بعض نماذج أدب الحكم والأمثال، والذي تمثل في المواعظ والنصائح التي توجه سلوك الإنسان، وتعزز له مواقع متقدمة في المجتمع، وترفع من مكانته الروحية لينال رضى الإله ويفوز بنعمة الخلود في الفردوس، وفيما يلي مجموعة من هذه الحكم والمواعظ:

" إن الطبيعة الخيرة، هي تلك التي تملى على صاحبها أن لا يصنع بغيره أمر لا يريده لنفسه".

"أن يسعى إلى جعل العدو صديقا، وجعل الشرير صالحا، وجعل الجاهل عالما".

" القوي هو الشخص الذي يبعد عن نفسه الغضب والشهوات والحرص وعدم الرضا".

" إن الشخص الذي لا يتغلب على نفسه، لن يتغلب على أي شيء".

" ابتعد عن كل شخص يتصرف معك بغضب وحقد".

"النية في الطاعة الصادقة تهلك نية الغضب".

" كن حميما مع الإله والأصدقاء".

" لا تقل سرك للرجل الثرثار".

" لا تنصت إلى الثرثار والكذاب".

([1]) رمضان عبده على : *تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته*، الجزء الأول، دار نهضة الشرق، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، ص١٤٧.

" لا تطلب شيئا من الذي لا يخجل".

" اختر بنفسك زوجتك".

" أحب المرأة الخجولة والحكيمة واطلبها للزواج".

" لا تسخر من الإنسان العاجز".

" لا تطلب من الملوك القرارات غير العادلة".

" لا تجلس في الاجتماعات إلى جانب الإنسان السيئ، حتى لا تعرف كرجل سيئ".

" لا تكن صديقا للعدو القديم، لأن العدو القديم مثل الثعبان الأسود، لا ينسى الحقد حتى بعد مئة عام".

" كن للإنسان الحر، الخبير بالأعمال، الذكي والخير صديقا وأساله عن الأمور".

" لا تحنث بوعدك أبدا؛ حتى لا تفقد ماء وجهك". [1]

وإذا ما استثنيا النصوص الدينية، فانه يمكن القول أن الفرس لم يخلفوا ورائهم أدبا على الرغم من حرص ملوكهم على تسجيل أعمالهم، كنقوش داريوش المطّولة على صخرة بهستون مثلا أو في غيرها من المواضع، ويبدو أن وضعهم الثقافي سيظل هكذا حتى القرن العاشر الميلادي.

فقد تمكن الباحثون من حصر ذلك الإرث الثقافي في أربعمائة كلمة فقط، تتكرر بشكل أو بأخر على امتداد العصر

([1]) شيماء حسين كامل محمود أبو خضرة: *الحياة الإجتماعية في إيران عصر الدولة الأخمينية في الفترة من (٥٥٩-٣٣٠ ق.م)*، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة المنوفية، ٢٠١٥م، ص١٠٠-١٠٢.

الأخميني، وتجلى معظمها في الأسماء، وربما كانت هذه الحقيقة هي التي دفعت بعض الباحثين إلى الإعتقاد بأن ملوك الدولة الأخمينية كان جلهم أميّا لا يعرف القراءة والكتابة، كما اعتقد بعضهم الأخر أنهم رجال حرب وزراعة، ورأوا في الأدب لهواً خليق بالنساء، ولكن حتى هؤلاء النسوة لم يثبت أنهن أبدوا اهتمام بالأدب [١]

٣.القانون:

استطاع الباحثون دراسة الأسس القانونية للدولة الأخمينية من النقوش الكتابية التي خلفها الملك دارايوش الأول(٥٢٢ - ٤٨٦ ق.م) في عدة مواضع، في بهستون وبرسيبوليس وسوسة وغيرها، وقد وجد الباحثون الذين اشتغلوا فيها عددًا من أوجه الشبه بين شريعة دارايوش وشريعة حمورابي. [٢]

وتبين لنا هذه النقوش أن الملك كان المصدر الأول للقوانين والتشريعات، كما أن التقاليد والسوابق لم تجد نفعا إلا إذا كانت مستمدة من أمر ملكي سابق، ذلك أن الفرس كانوا يفخرون بأن قوانينهم لا تبديل لها، وأن الوعد والمرسوم الملكي لا ينقض بأي حال من الأحوال، حيث اعتقدوا أن قرارات الملك وأحكامه موحى بها من قبل الإله "أهورامزدا"، وبالتالي لم يكن بالإمكان مخالفتها. [٣]

كما كان الملك بمثابة المحكمة القضائية الأعلى التي يستأنف إليها الناس ما تصدره المحاكم الأخرى، حيث كان يلي الملك نوعين من المحاكم: أولهما عبارة عن محكمة عليا تتكون من سبع

---

(١) جميلة عبد الكريم محمد: *المرجع السابق*، ص١٦٠-١.

(٢) طه باقر: *المرجع السابق*، ص٤٧٦.

(٣) ويل ديورانت: *المرجع السابق*، ص٤١٨.

قضاة ومقرها في العاصمة، أما النوع الثاني فعبارة عن محاكم محلية توجد في كل ولاية من الولايات الخاضعة للسيادة الأخمينية. [١]

وتولى رجال الدين مهمة وضع القوانين لهذه المحاكم، كما تولوا أيضًا مهمة القضاء، وظل الحال على هذا النحو حتى الأيام الأخيرة من حياة الدولة الأخمينية، حيث سمحت الدولة لبعض المدنيين بتولي المناصب القضائية، بل إنها سمحت كذلك لبعض النساء بالقيام بهذه المهام. [٢]

وكان القضاة الإيرانيون يبقون في مناصبهم مدى الحياة ما لم ينسب إليهم خطأ في تطبيق العدالة، [٣] **ومما عمله قمبيز لضمان نزاهة القضاء أنه أمر بسلخ جلد القاضي الظالم حيا وأن يستخدم هذا الجلد لتجليد مقاعد القضاة، وفي الوقت ذاته لم يجد ما يحول دون تعيين ابن ذلك القاضي في منصب ابيه.**

وكان القضاة وهم ينظرون في الجرائم يقدرون ما للمتهم من حسنات وما آداه من خدمات، ولكي يحولوا بين اطالة الإجرءات القضائية حددوا زمنا معينا تنتهي فيه كل قضية تعرض أمام المحاكم، كما كانوا يعرضون على الخصوم في بعض الأحيان أن يختاروا لهم حكما يحاول فض ما شجر بينهم من نزاع بالطرق السلمية، وذلك لكي يخففوا العبء عن المحاكم.

---

(١) أحمد فخري: *دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم*، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٢٣٢.

(٢) بديع محمد جمعة: *المرجع السابق*، ص٥٥.

(٣) عزة على أحمد جاد الله: *العلاقات الخارجية لإيران فى عهد الملك داريوش الأول (٥٢٢ – ٤٨٦ ق.م)*، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ٢٠١٤م، ص٢٣٤-٥.

وحينما تعددت السوابق القانونية وتعقدت القوانين نشأت طائفة من الناس يسمون " المتحدثون في القوانين" كانوا يعرضون على المتخاصمين أن يفسروا لهم القوانين ويساعدوهم على السير في قضاياهم. [1]

ولقد كانت هناك درجات للجرائم، ولكل منها عقاب محدد، فالجرائم الصغرى يعاقب عليها القانون بالجلد من خمس إلى مائتي جلدة وذلك بسوط من سياط الخيل، وكان عقاب من يسمم كلب راع مائتي جلدة، ومن يقتل آخر خطأ فعقابه تسعين جلدة، وفي بعض الحالات كانوا يستعيضون عن تنفيذ العقوبة بدفع غرامة مالية، تحدد قيمتها بحسب نوع العقاب، فمثلا كان يتم احتساب كل جلدة واحدة بست روبيات.

أما الجرائم الكبرى فكان يعاقب عليها بالوسم بالنار أو بتشويه الأعضاء أو بتر بعض الأطراف، أو سمل العين أو السجن أو الإعدام، وكان نص القانون يحرم على أي إنسان حتى الملك نفسه أن يحكم على إنسان بالقتل عقابًا على جريمة صغرى اقترفها، ولكنه يحل الموت عقابًا على خيانة الوطن، أو هتك العرض، أو القتل العمد، أو حرق الموتى، أو دفنهم سرا، أو الاعتداء على حرمة القصر الملكي، أو الجلوس مصادفة على عرش الملك، أو الإتصال بإحدي جواريه، أو الإساءة إلى أحد أفراد البيت المالك.

وكان يتم إعدام المذنب بعدة طرق منها إرغامه على تجرع السم، أو خزقه، أو صلبه، أو شنقه، أو رجمه بالحجارة، أو دفن الجسم إلى ما دون الرأس، أو تهشيم رأسه بين حجرين كبيرين، أو

([1]) ويل ديورانت: *المرجع السابق*، ص٤١٨-٩.

خنقه في ماء ساخن، أو بقتله بواسطة ما يعرف باسم عقاب الزورقين. [١]

وعلى الرغم من أن الفرس كانوا قساة في بعض الأحيان، فإنهم بوجه عام كانوا متسامحين مع الشعوب الخاضعة لهم حتى إن قواعد القانون الفارسي قد وضعت في المقام الأول للفرس، وظلت الولايات تُحكم بواسطة قوانينها الخاصة بها، التي عمل داريوس الأول بعد أن استتب له الأمر على جمعها وتنقيحها لإدارة تلك الولايات بها. [٢]

٤ .الموسيقى:

كانت الموسيقى من الفنون المعروفة لدى الإيرانيين القدامى، حيث تحدثنا المصادر عن موسيقي كبير كان يجيد العزف والتوقيع بأكثر من ثلاثمائة مذهب، وكان يؤثر على سامعيه إلى الحد الذي يسحرهم، هذا الموسيقي هو الباربد، الذي تنسب إليه الآلة الموسيقية المعروفة "بالربط".

ومن الآلات الموسيقية التي عرفها الفرس الناي، والعودة، والصنج، والقيثار، وكذلك الطبلة، وكان غناؤهم بالعيدان والضوح، ولهم النغم والإيقاعات والمقاطع، وبلغ من اهتمام الفرس بالموسيقى لدرجة التي جعلتهم يستخدمون الشعر والموسيقى معا في إبلاغ الملوك بالأخبار في بعض الأحيان. [٣]

---

(١) ويل ديورانت: *المرجع السابق*، ص٤١٩-٤٢٠.

(٢) جميلة عبد الكريم محمد: *المرجع السابق*، ص ٢٠٢.

(٣) شيماء حسين كامل محمود أبو خضرة: *المرجع السابق*، ص ١٠٤.

٥.الفلك والتقويم:

يعرف التقويم بأنه نظام يقوم على مبدأ حساب السنين بدءًا من تاريخ محدد متفق عليه، ومرتبط بحدث تاريخي معين سواء كان ذلك الحدث حقيقيا أو مفترضا .

ومنذ معرفة طول السنة الشمسية بدقة في بابل في القرن الثامن ق.م بدأت المحاولات التوفيقية بين السنوات الشمسية والقمرية وذلك لايجاد علاقة ثابتة بينهما، وكان لابد من ايجاد تناسب دائم بين أيام الشهر القمري (٢٩,٥) وأيام السنة الشمسية (٣٦٥,٢٥) من أجل تقنين إضافة الأيام الكبيسة، وقد تبين نتيجة الأرصاد الفلكية أن مدة ٨ سنوات شمسية تعادل ٩٩ شهرا قمريا تقريبا، وبالتالي يكفي إضافة شهر قمري من ٣٠ يوما ٣ مرات في كل ٨ سنوات للحصول على التوافق المطلوب، وهكذا تم وضع الدورة الثمانية التي تتألف من ٥ سنوات عادية يضم كل منها ١٢ شهرا، ومن ٣ سنوات كبيسة يضم كل منها ١٣ شهرا . [١]

وقد ابتكر هذا التقويم للمرة الأولى في بابل في ظل حكم الأخمنيين، وقد استعمل في تأريخ الوثائق المختلفة تقريبًا بدءا من عام ٥٠٣ ق.م، وبمعنى آخر في السنة التاسعة عشر من حكم الملك داريوش الأول. [٢]

وعلاوة على ذلك، تم إنشاء مدرسة لعلوم الفلك والتقويم في عهد الملك داريوش، واستطاع الفلكيون بالأدوات البدائية التي كانوا يستخدمونها حساب دورتي الكسوف والخسوف، وقد خلفوا لنا لوائح

---

(١) محمد الزين: التقويم السلوقي وأهميته التاريخية والحضارية، *مجلة دراسات تاريخية*، العددان ٨٥-٨٦، ٢٠٠٤، ص ٣٥-٧.

(٢) أرواد عدنان العلان: *المرجع السابق*، ص ١٠٦.

المسافات بين النجوم، وهي تتصف بدقة بالغة، وقد اعتبروا علم الفلك سبيلا إلى معرفة التبدلات والظواهر الجوية. [١]

٦.الحساب:

كان علم الحساب من العلوم المعروفة في إيران منذ القدم، غير أنه كان يقوم على التخمين أكثر مما يقوم على قواعد وتطبيقات معروفة.

٧.السحر:

كان السحر معروفا أيضًا في إيران منذ القدم، وكان الغرض منه، هو عمل مجموعة من الصيغ والتعويذات، التي تؤدي أحيانا عن طريق الطقوس، لحماية المجتمع والبشر من الأمراض والأرواح الشريرة.[٢]

٨.الطب:

كان لدى الفرس ثلاثة أنواع من الأطباء، أطباء من الكهنة يعالجون بالسحر والرقي، [٣] **وأطباء يعالجون عن طريق النباتات والأعشاب المختلفة، وأطباء يعالجون عن طريق المشرط – أي الجراحين.** [٤]

وقد اشترط فيمن يمارس مهنة الطب أن يكون عالماً بالأمراض وعلاجها، وأن يعرف تشريح أعضاء الجسم والمفاصل، وأن

---

(١) شيماء حسين كامل محمود أبو خضرة: *المرجع السابق*، ص١٠٨.

(٢) رمضان عبده علي: *المرجع السابق*، ص١٤٨-٩.

(٣) نعيم فرح: موجز *تاريخ الشرق الأدنى القديم (السياسى والاجتماعي والاقتصادى والثقافى)*، دار الفكر، دمشق، (د.ت)، ص ٩٢.

(٤) رمضان عبده علي: *المرجع السابق*، ص١٤٨.

يواظب على القراءة والمطالعة لزيادة معلوماته الطبية، وكان على الطبيب أيضا أن يعالج المريض بإخلاص وحذر، ويعد تهاون الطبيب في علاج مرضاه او تردده في زيارتهم جريمة ، فالطبيب ملزم بزيارة المريض كل يوم ، طول المدة اللازمة للعلاج ، وله على ذلك أن يقدم له غذاء فاخرًا وحصانًا سريعًا، ومسكناً لائقًا. (١)

وقد حددت أجور الأطباء، حيث وجدنا لها ذكراً في الأبستاق، ولكن يُلاحظ أنها كانت تُحدد وفقاً لمكانة المريض الإجتماعية، فعلاج سيد المنزل يكون مقابل ثمن ثور متوسط القيمة، وعلاج رئيس قضاء يكون مقابل ثمن ثور عالي القيمة، وعلاج حاكم البلدة يكون مقابل ثمن عربة يجرها أربعة أحصنة، وعلاج زوجة سيد المنزل مقابل ثمن حماره لبون ، وعلاج زوجة رئيس قضاء مقابل ثمن مُهرة ، وعلاج زوجة حاكم البلدة مقابل ثمن ناقة ، وعلاج وريث أسرة كبيرة مقابل ثور ممتاز الصفة، وهكذا. (٢)

وقد بلغ من اهتمام الملوك الأخمنيين بالأمور الطبية والعلاجية، أن قاموا بانشاء مدارس للطب، فالملك داريوش على سبيل المثال لا الحصر بنى مدرسة للطب في مدينة شوش، وأحضر ١٥ مصريًا، ووفر لهم سبل العيش المناسبة، وحدد شروط الالتحاق بالمدرسة على النحو التالي:

١. **أن يبد سن الالتحاق بالمدرسة من ١٢ عاما، على أن يمضي الطلاب خمس سنوات إجبارية في المدارس الحكومية العادية.**
٢. **أن تكون مدة الدراسة في مدارس الطب أربع سنوات، وبعد إتمام المدة يرسل المتعلمون إلى المراكز الطبية في الدولة،**

---

(١)علي هادي حمزة الحيدري: *المرجع السابق*، ص ٣١٦.

(٢) شيماء حسين كامل محمود أبو خضرة: *المرجع السابق*، ص١١٥.

وبعد ذلك يمضون عامين في تحصيل التعليم في مركز "شوش" للحصول على الدرجة العليا في الطب (التخرج).

٣. كان هؤلاء الأطباء يعينون فيما بعد في المراكز الطبية الحكومية برتبة عقيد طبيب. [١]

كما سمح الملوك الأخمنيين للأطباء في عهد الملك أرتخشتر الثاني بتأسيس نقابة خاصة بهم تتولى متابعة كل ما يتعلق بمهنة الطب، وكان الطبيب المبتديء يتدرب في البداية بمعالجة الكفرة والأجانب، ثم يعالج الفرس بعد أن يصبح ماهرا في مهنته، [٢] **إذ نجد زرادشت يحدثنا في كتابه بما يلي:**

" يا خالق الكون يا قدوس، إذا شاء عبد من عباد الله أن يمارس فن العلاج، فأي الناس يجب أن يجرّب فيهم حذقه؟ أيجرّبه في عباد أهورامزدا أم في عبدة الشياطين، فأجاب أهورمزدا بقوله: يجب أن يجرب نقسه في عبدة الشياطين لا في عباد الله؛ فإذا عالج بالمبضع عبدًا من عبدة الشياطين فمات؛ وإذا عالج بالمبضع عبدًا ثانيًا من عبدة الشياطين فمات؛ وإذا عالج بالمبضع عبدًا ثالثًا من عبدة الشياطين فمات، كان غير صالح أبد الدهر، ويجب أن يمتنع من علاج أي عبد من عباد الله... وإذا عالج بالمبضع عبدًا من عبدة الشياطين وشفى، وإذا عالج بالمبضع عبدًا ثانيًا من عبدة الشياطين وشفى، وإذا عالج بالمبضع عبدًا ثالثًا من عبدة الشياطين وشفى، كان صالحًا أبد الدهر، وكان له إذا أراد أن يعالج عباد الله، ويشفيهم من أمراضهم بالمبضع" [٣]

---

(١) نفسه، ص١١٨.

(٢) نعيم فرح: *المرجع السابق*، ص٩٢-٣.

(٣) ويل ديورانت: *المرجع السابق*، ص٤٤٦.

ولا يبقى للدارس في سياق العرض الختامي عن الآداب والعلوم عند الإيرانيين القدامي غير الإشارة إلى الملاحظات والحقائق الآتية:

١. لا يجب أن ننظر إلى النواحي العلمية في الحضارات القديمة بصفة عامة والحضارة الإيرانية القديمة بصفة خاصة بمقياسنا الحديث، فالعلوم بالنسبة لنا هي عبارة عن بحث لقوانين المادة والطبيعة، ولم يكن هذا معروفًا في حضارات الشرق القديم، فالعلوم هي نتائج رؤية من طرف المعبودات مباشرة و غير مباشرة، ولكن هذا لم يمنع الشرق القديم رغم وسائله البسيطة البدائية من التوصل إلى بعض النتائج العلمية التي لا باس بها. [١]

٢. إن العلوم في الدولة الأخمينية كانت حكرًا على كبار الكهنة والأشراف فقط، حيث لم يسمح لعامة الشعب بخوض غمار العلوم، ولهذا لم تحرز إيران تقدمًا علميًا كبيرًا، ويرجع بعض الباحثين ذلك إلى اهتمام الدولة الأخمينية بالنواحي العسكرية أكثر من أي شيء، ولهذا كان الاشتغال بالعلوم نوعًا من الرفاهية، وفي مقدروهم احضار العلماء من بابل ومصر وغيرها من الولايات التي خضعت لسلطانهم.

٣. إذا كان للأخمنيين من فضل في مجال رقي العلوم، فهو عقد صلات علمية بين جميع الولايات التي خضعت لسلطانهم، فخضوع هذه الولايات جميعا لدولة واحدة ساعد على وجود نوع من الاتصال الثقافي والعلمي والتفاعل بين العلوم، مما أدى إلى تقدمها بعض الشيء، ولكن يجب أن نذكر أن هذا التقدم تم على أيدي سكان هذه الولايات، وليس على أيدي الإيرانيين أنفسهم. [٢]

([١]) رمضان عبده علي: *المرجع السابق*، ص١٤٧-٨.

([٢]) بديع محمد جمعة: *المرجع السابق*، ص٨٠-١.

الباب الثالث

بـــــلاد الشـــــــام

الفصل الأول: تاريخ الأموريين وحضارتهم.

الفصل الثاني: تاريخ الفينيقيين وحضارتهم.

الفصل الثالث: تاريخ العبرانيين وحضارتهم.

الفصل الأول

تاريخ الأمـوريين وحضارتهـم

١. الأصل والتسمية.

٢. موجز تاريخ الأموريين.

٣. مظـــاهر الحضـارة الأمـوريـة.

١.٣ اللغة الأمورية

٢.٣ الفكـــــر الدينـــي.

٣.٣ النشاط الإقتصادي.

الفصل الأول

تاريخ الأموريين وحضارتهم.

١. الأصل والتسمية:

الأموريون (ويسمون بقليل من الدقة العموريون) هم أول شعب سامي عاش في سوريا قادمًا من شبه الجزيرة العربية في هجرة واحدة مع الكنعانيين، في حوالي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد تقريبًا.

وقد عرفوا في المصادر السومرية باسم "مارتو" بمعنى بلاد الغرب، حيث إن أرض الأموريين كانت تقع إلى الغرب من الأراضي السومرية، ثم عرفوا في المصادر الأكدية باسم "أمورو"، وهو اسم يؤدي نفس المعنى السومري، أي بلاد الغرب.[١]

وفي العصر البابلي القديم وسع البابليون من مدلول هذا الاسم (أمورو) ليصبح علمًا على كل سوريا حتى أنهم سموا البحر الأبيض المتوسط وقتذاك ببحر أموروا العظيم، ثم عمم اسم أمورو بعد ذلك، وصار يطلق على البدو القاطنين في بادية الشام.[٢]

٢. موجز تاريخ الأموريين:

بعدما نزل الأموريون في بلاد الشام، أخذوا يتجولون في شمال سوريا، ثم استقر بهم المقام في أواسط حوض الفرات، وكانت

---

(١) رمضان عبده على : *تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته* منذ فجر التاريخ وحتى مجئ الإسكندر الأكبر، الجزء الثاني، دار نهضة الشرق، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص٦٩-٧٠.

(٢) حلمي محروس اسماعيل: *الشرق العربي القديم وحضارته: بلاد مابين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة*، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م، ص١٣٩.

هذه المنطقة تسكنها جماعات سومرية عند وفود الأموريين، لكن مع بداية الألف الثاني قبل الميلاد نجح الأموريون في تأسيس سلسلة من الممالك في سوريا وفلسطين وبلاد النهرين لدرجة أن منطقة الفرات الأوسط أصبحت أمورية في سكانها وفي مظاهر حضارتها بحلول القرن العشرين قبل الميلاد. (١)

ولعل من أقدم هذه الممالك ما يعرف باسم (مملكة ماري) نسبة إلى عاصمتها ماري (تل الحريري حالياً) الواقعة في منطقة الفرات الأوسط ، حيث نشأت هذه المملكة في حدود سنة ١٩٠٠ قبل الميلاد، وكانت في أول تكوينها تمتد من عانة جنوبًا إلى الخابور شمالاً، ولكنها سرعان ما توسعت في زمن ملكها "يخدن – لم" لتشمل أجزاء كبيرة من سوريا، واستمرت قائمة حتى أسقطها الملك حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م) أشهر ملوك أسرة بابل الأولى.

كما قامت في الجزء الشمالي من بلاد الشام وقتذاك عدة ممالك أمورية، تقاسمت السيادة عليه، لعل أبرزها مملكة يمخاد، بالإضافة إلى مملكتا كركميش والألاخ، وكذلك مملكة قطنه التي احتلت مركزاً تجارياً مهماً لسلالات الحكام الأموريين، حيث مكنها موقعها الجغرافي من التحكم بطرق التجاره المتجهة من بلاد الرافدين إلى البحر الأبيض المتوسط، ومن يمخد الى حازور في فلسطين. (٢)

ولم يقتصر نشاط الأموريين على اجتياح بلاد الشام وتكوينهم لعدة ممالك فيها، بل أنهم مدوا نفوذهم إلى بلاد الرافدين

---

(١) محمد أبو المحاسن عصفور: *معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجئ الإسكندر*، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩م، ص٢٧٦-٢٧٧.

(٢) عبد الغني غالي فارس السعدون: *التنافس الحيثي المصري على بلاد الشام إبان العهد الإمبراطوري المصري (١٥٧٠-١٠٨٠ ق.م)*، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٥م، ص٦١-٦٢.

في نهاية أسرة أور الثالثة (٢١١٣-٢٠٠٦ق.م.)، ونجحوا في تأسيس عدة ممالك بحيث أصبحت المنطقة الواقعة بين آشور شمالًا وحتى لارسا جنوبًا ومن البحر الأبيض المتوسط غربًا إلى مرتفعات عيلام شرقًا[١] يشغلها عدة ممالك أمورية كبابل وآشور وأشنونا وأيسين ولارسا وماري ويمخاد وغيرها. [٢]

ومن المرجح أن بعض مواطن الأموريين قد تعرضت لبعض المتاعب فجاءت جماعات منهم تطلب الاستقرار في مصر، نستدل على ذلك من نقوش مقبرة " خنوم حتب" أحد أشراف مصر الوسطى في عهد سنوسرت الثاني، حيث مثلت إحدى القبائل التي تحمل الصفات الأمورية (رأس مستدير وأنف ضخم) وهي تطلب السماح لها بالاقامة في مصر، وربما كان الأموريون يمثلون الاغلبية العظمى بين الشعوب التي اجتاحت سوريا وتسللت إلى مصر وسيطرت عليها وهي المعروفة باسم الهكسوس.

وقد شهد مطلع النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد تحولًا في النشاط الدولي إلى منطقة سوريا الوسطى التي كان الأموريون يلعبون فيها الدور الرئيسي، حيث بدأت مصر في هذه الفترة توسعها الخارجي أيام تحوتمس الثالث بحيث وقع جزء من سوريا تحت سيطرتها، كما تطلع الحيثيون في الوقت ذاته إلى إخضاع الجزء الشمالي من سوريا لسلطانهم، بعدما كانت تسيطر عليه مملكة يامخاد الأمورية التي كانت عاصمتها حلب.

وهكذا انحصرت بقية الإمارت الأمورية في منطقة سوريا الوسطى لاسيما في الجزء الشمالي من لبنان والإقليم الداخلي حول

---

(١) محمد أبو المحاسن عصفور: *المرجع السابق*، ص ٢٧٨.

(٢) عبد اللطيف أحمد على: *محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم*، بيروت، ١٩٧١، ص١٣٢-١٣٣.

دمشق، وظلت هذه الإمارات تتأرجح بين الخضوع للسيادة الحيثية أو الولاء للسيادة المصرية، وظل الحيثيون في تقدمهم بينما أخذت المستعمرات المصرية تزداد سوءا في أواخر عصر الأسرة الثامنة عشر وانكمشت الممتلكات المصرية بحيث أصبحت قاصرة على الجزء الجنوبي من سوريا، وأخذ الحيثيون يسيطرون على شمال سوريا ووسطها إلى أن انتهى نشاط الأموريين منها واقتصر تواجدهم على جنوبها حيث تأرجحت الولايات الأمورية هناك بين الولاء لمصر وبين الولاء للحيثيين، إلى أن ورث الآشوريون ثم البابليون ثم الفرس الأخمينيون السيادة على هذه الجهات، [1] ومن بعد الفرس الأخمنيين جاء الإسكندر الأكبر غازيًا للبلاد السورية بعدما أحرز عدة انتصارات على الفرس في بلا الشام، لعل أشهرها موقعة ايسوس في عام ٣٣٣ قبل الميلاد. [2]

٣. مظاهر الحضارة الأمورية.

١.٣ اللغة الأمورية:

لم يترك لنا الأموريون كتابات بلغتهم ذات شأن، بل اقتصروا في تدوينهم بها على بعض أسماء الملوك والأماكن في الإقليم السوري، ومع ذلك فإن لغتهم شبيهة باللغة الكنعانية بحيث عدهما لهجتين متقاربتين هما: اللهجة الكنعانية الشرقية (الأمورية) واللهجة

---

(١) محمد أبو المحاسن عصفور: *المرجع السابق*، ص ٢٧٧-٢٧٨.

(٢) نعيم فرح: موجز *تاريخ الشرق الأدنى القديم(السياسى والاجتماعى والاقتصادى والثقافى)*، دار الفكر، دمشق، (د.ت)، ص١٨.

الغربيـــة (أي الفينيقيـــة).[١] أمـــا أهـــم مـــدوناتهم فقـــد كتبـــت بالأكديـــة التـــي شاع استخدامها كلغة تدوين رسمية.[٢]

٢.٣ الفكر الديني:

كانـــت ديانـــة الأمـــوريين تـــدور حـــول تقـــديس قـــوى ومظـــاهر الطبيعـــة شـــأنها فـــي ذلـــك شـــأن ديانـــة معظـــم الســـاميين الآخـــريين فـــي باديـــة الشـــام وبـــلاد العـــرب، ومـــن أشـــهر معبـــوداتهم المعبـــود "أمـــورو" الـــذي عرفـــت عبادتـــه فـــي بـــلاد النهـــرين وكانـــت زوجتـــه الإلهـــة عاشـــيرات إلهة الحب والقوة التي يرجح أنها مقتبسة من الإلهة عشتار البابلية.

ومـــن الآلهـــة الأخـــرى التـــي عبادهـــا الأموريـــون الإلـــه دجـــن إلـــه الســـمك، والإلـــه رشـــف الـــذي يحتمـــل أنـــه كـــان لـــه صـــلة بالنـــار، ثـــم الإلـــه "حـــدد" إلـــه المطـــر والعواصـــف، والـــذي كـــان يعـــرف فـــي بابـــل باســـم "أدد"،[٣] ويحتمـــل أنـــه هـــو الـــذي عـــرف بعـــد ذلـــك فـــي جهـــات مـــن ســـوريا باســـم "بعل".

ومـــن مظـــاهر الفكـــر الـــديني لـــدى الأمـــوريين إقامـــة العمـــود المقـــدس، الـــذي كـــان يرمـــز إلـــى إلـــه القبيلـــة، ويقـــام عـــادة فـــي مكـــان ظـــاهر، ومـــن المحتمـــل أيضًـــا أنهـــم هـــم الـــذين أدخلـــوا إلـــى الإقلـــيم الســـوري عـــادة تقـــديم الإبـــن البكـــر كقربـــان للآلهـــة وعـــادة التضـــحية بالأطفـــال عنـــد تأسيس المباني العامة، وهذه الأخيرة ظلت حتى زمن العبرانيين.

---

[١] إســـراء عبـــاس جاســـم: حقيـــة الأمـــوريين ومراكـــز انتشـــارهم، *مجلـــة كليـــة الآداب، جامعـــة بغداد*، العدد٩٤، ٢٠١٠م، ص٣٦٤.

[٢] محمـــد أبـــو المحاســـن عصـــفور: *معـــالم حضـــارات الشـــرق الأدنـــى القـــديم*، دار النهضـــة العربية، بيروت، ١٩٨٧م، ص ١٥٧.

[٣] عبـــد الحميـــد زايـــد: *الشـــرق الخالـــد*، دار النهضـــة العربيـــة، القـــاهرة، ١٩٦٦م، ص٢٣٩؛ إســـراء عباس جاسم: *المرجع السابق*، ص ٣٦٤-٣٦٥.

٣.٣ النشاط الإقتصادي:

حينما وفد الأموريون إلى الإقليم السوري كانوا عبارة عن جماعات بدوية لا تعرف سكنى المدن ولا الزراعة، ولكن بعدما استقروا في هذا الإقليم أخذوا عن أهله مظاهر الحضارة المختلفة، [١] **فعرفوا الزراعة، كما عرفوا التجارة، حيث كانوا يجلبون البضائع والسلع إلى المدن السومرية، ثم يعودون ببضائع أخرى إلى مدنهم، كما أنهم برعوا في مجال التعدين وصناعة المعادن لاسيما النحاس والذهب والقصدير والبرونز.**

وعلاوة على ذلك، فقد ارتبطت بالأموريين بصفة رئيسية مهنة تدجين الحيوانات وتربيتها، واهتموا كذلك بصناعة الجلود وصناعة النسيج والأصواف وصباغتها. [٢]

---

[١] محمد أبو المحاسن عصفور: *المرجع السابق*، ص١٥٦– ١٥٨.

[٢] إسراء عباس جاسم: *المرجع السابق*، ص ٣٦٤–٣٦٥.

الفصل الثاني

تاريخ الفينيقيين وحضارتهم

١. الأصل والتسمية.

٢. دويلات المدن الفينيقية.

١.٢ صور.

٢.٢ صيدا.

٣.٢ أوغاريت.

٤.٢ جبيل.

٥.٢ أرواد.

٣. مظاهر الحضارة الفينيقية.

١.٣ نظم الحكم والإدارة.

١.٣ الحياة الإقتصادية.

٣.٣ الفكر الديني.

٤.٣ اللغة والكتابة.

الفصل الثاني

تاريخ الفينيقيين وحضارتهم

١. الأصل والتسمية.

الفينيقيون هم إحدى الجماعات السامية التي نزحت من شبه الجزيرة العربية إلى الإقليم السوري في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، وقد اختلف المؤرخون في تحديد الموطن الأول لهم، فمنهم من يرى أن هجرتهم كانت من وسط الجزيرة العربية لاسيما نجد، بينما ذهب بعضهم الأخر إلى إنهم من العروض لاسيما البحرين والسواحل المقابلة لها، في حين ذهب فريق ثالث إلى إنهم من الأجزاء الجنوبية أي من اليمن. وأيا كانت المنطقة التي خرجوا منها من بلاد العرب، فالواقع الذي يعيننا هنا أن شبه الجزيرة العربية كانت دونما ريب هي الموطن الأصلي لهذه الجماعات السامية.

ومثلما اختلف الباحثون في الموطن الأصلي اختلفوا أيضًا في أصل اسمهم، فمنهم من يرى بأنه سامي، حيث اشتقت الكلمة من اللفظة السامية " كنع" أو "كنغ" بمعنى المنخفض، أي الأرض المنخفضة التي سكنوها وخاصة على الساحل للتمييز بينها وبين الأراضي الجبلية المحاذية لها، ومنهم من يرى بأنه من أصل هندو أوربي، حيث اشتقت الكلمة من اللفظة الحورية " كناجي" بمعنى صبغة حمراء، ومنها أخذت الكلمة الكلدانية "كناخي" التي حرفت إلى كنعان، أي بلاد الأرجوان لشهرتها بهذه الصبغة التي كان أهلها يستخرجونها من الحيوانات البحرية التي كانت تعيش بالقرب من سواحلهم، وقد عرفها اليونانيون باسم فينيقيا كمرادف لهذه التسمية، وكانت تدل في البداية على الساحل السوري وغرب فلسطين، ثم

أصبحت تدل بعد ذلك على فلسطين وجزء كبير من الأراضي السورية.

٢. دويلات المدن الفينيقية.

لم تنجح الجماعات الفينيقية على مدار تاريخها في تأسيس دولة قوية موحدة بل انتظمت في عدة مدن صغيرة ذات حكومات منفصلة تحميها أبراج وأسوار عالية، ويعزي ذلك ببساطة إلى طبيعة الإقليم الذي عاشوا فيه، حيث كان بمثابة قنطرة يعبرها الغزاة الآسيون القادمون من منطقة الجزيرة قبل نزولهم إلى وادي النيل، كما تعبرها القوات المصرية القادمة من الوادي تتعقب الغزاة، وهم في طريق فرارهم بعد دفعهم عن حدود مصر، كما كان للحواجز الطبيعية التي تجعل المواصلات صعبة عبر الساحل الفينيقي أثر في طبيعة النظام السياسي الذي تبنته هذه الجماعات، حيث اتبعت نظام دويلة المدينة (City-State).

وكثيرًا ما كان يكثر التطاحن بين هذه المدن وتنشب بينها الحروب، ومع ذلك فإنها كثيرا ما كانت تتحد أمام هجمات المعتدين من الشعوب الأخرى، وقد تحصل إحدها على الزعامة وتتمتع بنوع من السيادة على الآخرين، ولكن هذه الاحلاف كانت لا تستمر طويلًا خصوصًا لأن بعض المدن كانت تحاول الانتفاع على حساب البعض الآخر.

هذا وقد بلغ مجموع دويلات المدن الفينيقية حوالي ٢٥ مدينة بعضها كان لها أثر كبير في الإنتاج الحضاري، وأخرى أقل أهمية غير أن أهمها على الإطلاق يكاد ينحصر في الدويلات الآتية:

١.٢ صور:

تعد صور واحدة من أعظم دويلات المدن الفينيقية ومن أعرقها تاريخًا وقدمًا، فقد شهدت أعظم الأحداث التي جرت على أرض فينيقيا، ومن على شاطئها انطلق " قدموس" ناشرًا الحروف الأبجدية الفينيقية.

خريطة رقم (١)

خريطة فينيقيا

وقد بدأت مدينة صور تاريخها بوصفها حصنًا، غير أن ميناءها الآمن وسلامتها من الغزو، سرعان ما جعلها حاضرة فينيقية، ومأوى لخليط من التجار والعبيد الذين قدموا إليها من جميع بلدان البحر الأبيض المتوسط، وهكذا ما أن حل القرن التاسع قبل الميلاد حتى كانت مدينة صور غنية في عهد ملكها حيرام (٩٨٠-٩٣٦ ق.م) الذي عاصر الملك النبي سيدنا سليمان عليه السلام (٩٦٠-٩٢٢ ق.م).

وظلت مدينة صور في عهد خلفاء الملك حيرام محافظة على استقلالها وثرائها -القائم على التجارة والغني وليس الغزو- حتى أيام الإسكندر الأكبر، والذى رأى في استقلالها تحديدا لعظمته وعبقريته الحربية، ومن ثم فقد عمل على احتلالها في ٣٣٢ قبل الميلاد، ثم قضى عليها نهائيًا ازدهار مدينة الاسكندرية العظيمة.

٢.٢ صيدا:

تقع صيدا على مبعدة ٤٥ كيلو متر إلى الجنوب من مدينة بيروت، و٤٠ كيلو متر شمالي صور في سهل ساحلي شديد الخصوبة، ولكنه ضيق ينحصر بين السفوح الغربية لجبال لبنان الجنوبية وبين البحر، ويصل اتساعه إلى ما يقرب من ميلين.

وقد اشتق اسم صيدا من الصيد أي صيد الأسماك، وإليها ينتسب الإله الوثني الفينيقي صيدون، ومن ثم فقد ذهب بعض الباحثين إلى أنها كانت محله صغيرة لصائدي الأسماك خصوصًا أن كتابات المورخين اليونانيين والإسلاميين كثيرًا ما فسرت اسم صيدا بكثرة السمك فيها.

ولكن في الوقت ذاته نجد التوراة تنسب مدينة صيدا إلى صيدون الابن الأكبر لكنعان بن حام بن نوح، ومن ثم فهي تربط بين

تأسيس صيدا وبين الكنعانيين الذين عرفوا أيضًا باسم الصيدونيين، وهكذا تنسب التوراة الكنعانيين إلى الحاميين وليس إلى الساميين لأسباب سياسية ودينية مع أنهم كانوا يعلمون حق العلم ما بينهم وبين الكنعانيين من صلات عنصرية ولغوية، وربما جاء هذا النسب بسبب وجود جاليات فينيقية وسبئية في إفريقيا، فعد كتبة التوراه هؤلاء من الحاميين.

ومن عجب أن يأخذ مؤرخو العرب وجغرافيوهم بالتفسير التوراتي لنسب الفينيقيين، ومن ثم فقد أجمعوا على نسبة الصيدونيين إلى "صيدون بن صدقاء بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام".

٣.٢ أوغاريت.

تقع مدينة أوغاريت على مسافة ميل واحد عن مينائها المسمى المينا البيضا الذي يقابل جزيرة قبرص، وكان يقوم ازدهارها على حركة التجارة التي كانت تمر في مينائها. وقد استخدم سكانها في لغتهم علامات مسمارية بسيطة في الكتابة ولكن هذه الأبجدية التي شاعت في أوغاريت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، واتسع نطاق استخدامها في القرن الثالث عشر قبل الميلاد بقيت أبجدية محلية، ولم يتهيأ لها الانتشار، واندثرت مع إنهيار أوغاريت واضمحلالها في أوائل القرن الثاني عشر قبل الميلاد نتيجة غارات شعوب البحر التي أحدثت موجه كبيرة من التغيرات الديموغرافية في المنطقة، وتسببت في ميلاد بعض القوى السياسية الجديدة.

٤.٢ جبيل.

تقع جبيل (بيبلوس اليونانية) على خليج صغير عند مصب نهر إبراهيم (أدونيس) على بعد ٤٥ شمالي بيروت، وقد اشتهرت هذه المدينة بتجارتها البحرية، إذ كان لها دور كبير في تسويق

تجارة خشب الآرز الذي تشتهر به المنطقة، ومن هنا ارتبطت بعلاقات تجارية بجيرانها لاسيما مصر، حيث خضعت للسيادة المصرية لفترة طويلة.

٥.٢ أرواد.

أرواد هي جزيرة مقابلة لساحل مدينة طرطوس السورية، ويعود تأسيسها إلى مرحلة موغلة في القدم، حيث هناك من الباحثين من يرى أن مؤسسها هو الأروادي بن حام بن نوح، وذد ازدهرت هذه المدينة وظهرت قوتها حتى عدت إحدى المدن الفينيقية الرئيسة، ولكن تعرضها لغزوات المصريين والآشوريين المتلاحقة قوضّ إقتصادها وقوتها السياسية حتى أفقدها مركزها السياسي والإقتصادي.

ويجدر القول هنا إلى أن المدن الفينيقية وقعت تحت السيطرة الآشورية اعتبارًا من عام ٨٦٨ ق.م و حتى سقوط الدولة الآشورية، حيث انتقلت السيادة عليها للدولة الكلدانية، ومن بعدها للدولة الفارسية الأخمينية. وخلال الفترات السابقة كانت فينيقيا تخضع أحيانًا وفي أوقات متقطعة إلى النفوذ المصري. وظل النفوذ الفارسي قائما بين مد وجزر إلى أن نجح الإسكندر الأكبر في هزيمة الفرس في معركة ايسوس سنة ٣٣٣ ق.م، فانتقلت السيادة بموجب نتائج هذه الموقعة للإسكندر الأكبر، وظلت فينيقيا تنتقل بولائها بين البطالمة والسلوقيين خلفاء الإسكندر في مصر وسوريا حتى جاء القائد بومبي إلى الشرق في عام ٦٤ ق.م، فدخلت تحت حكم الرومان، ومن بعدهم البيزنطيين حتى الفتح العربي في القرن السابع الميلادي، حيث دخلت تحت الخلافة العربية الإسلامية.

٣. مظاهر الحضارة الفينيقية.

١.٣ نظم الحكم والإدارة:

تشير المصادر التاريخية إلى أن النظام الملكي كان هو النظام السائد في مدن الساحل الفينيقي ابتداء من القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وكان وراثيًا من حيث المبدأ ولو أنه لم يكن كذلك دائمًا بسبب التطورات والأحداث الطارئة سواء بفعل ظروف داخلية أو خارجية.

وكان يعاون الملك مجلس شيوخ يؤلف من أكثر التجار ثراء في المدينة، وكبار الملاحين وقباطنة البحار الذين كانوا يؤلفون جماعة لها نفوذها. وقد عرفت جبيل مثل هذا المجلس كما تذكر التوراة ولكنها لم تذكر عدد أعضائه، وكان لملك أوجاريت ٧٠ مستشارًا من الأشراف.

وكان في مقدور أعضاء مجلس الشيوخ في مدينة صور أو غيرها من المدن أن يتخذوا قرارًا في غيبة الملك، وفي مدينة صيدا كان في استطاعتهم متى شاءوا أن يتخذوا قرارات ضد قرارات الملك.

وقد بلغ هذا التطور – الذي طرأ على مجلس الشيوخ في مطلع الألف الأول قبل الميلاد– مداه بعد ذلك، حيث أصبح في إمكان رؤساء الأسر الثرية – ممن يمثلون الطبقة الإرستقراطية في المدن الفينيقية – الاستيلاء على الحكم والتخلص من النظام الملكي، ويعد هذا مماثلًا لما حدث من تطور سياسي في المدن اليونانية.

٢.٣ الحياة الإقتصادية:

١.٢.٣ الزراعة:

وصل الفينيقيون إلى مرحلة راقية في مجال الزراعة، فاستخدموا المحراث، بل وكانوا يستغلون الفيل كحيوان لجر المحراث في الزراعات الكبيرة، وكانت أكثر وسائل النقل استعمالا لديهم عربات ذات عجلتين تجرها أربعة خيول (شكل رقم ١)، وكان استخلاص الحب من سنابله يتم إما عن طريق مرور لوحة خشبية بأسفلها شظايا صوانية على السنابل، أو من خلال مركبة من خشب لها عجل بأسنان من حديد، أو أن يداس المحصول بأرجل الحيوانات.

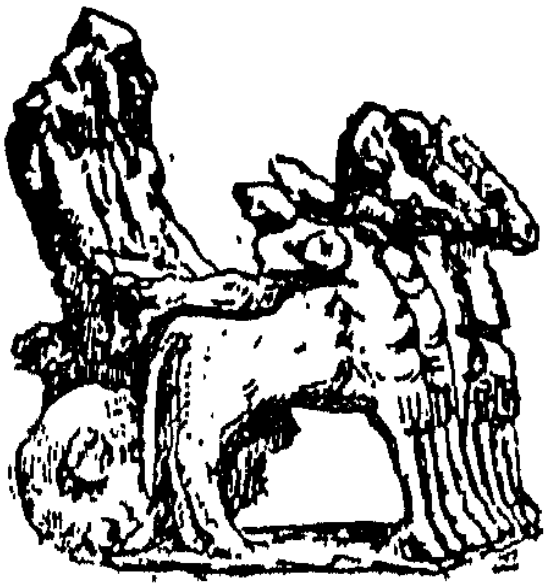

شكل رقم(١)

نماذج من خزف لعربة يجرها الخيل

٢.٢.٣ الصناعة:

اشتهر الفينيقيون في مجال الصناعة لاسيما صناعة الصباغة الأرجوانية، حيث عرفوا كيفية استخراج هذا الصباغ من المحار واحاطوا سر صنعه بأسطورة هي أن إله صور ملقارت كان يتنزه مع حبيبته قرب الشاطئ ومعه كلبه، فرأت الحبيبة لسان الكلب مصطبغًا باللون الأرجواني فطلبت من الإله ثوبًا بهذا اللون، فأوجد سر صنعه وعلمه للفينيقيين الذين عملوا على استخدامه في صبغ الأقمشة الصوفية والكتانية.

كذلك اشتهر الفينيقيون بصناعة الزجاج حتى أن المؤرخين اليونانيين والرومانيين يذكرون أن اكتشاف صناعة الزجاج كان على يد الفينيقيين، غير أنهم بالواقع يدينون بذلك إلى معلميهم المصريين والبابليين، وإن كانت صناعة الزجاج الفينيقية قد بلغت أكثر دقة وإتقانا مما كانت عليه صناعة الزجاج المصرية والعراقية.

وإلى جانب ذلك كان الفينيقيون يقلدون الحجارة الكريمة ويصنعون منها الكؤوس والعقود والمرايا. وقد دلت التنقيبات الأثرية أيضًا على انتشار صناعة الأواني الخزفية المزخرفة على نطاق واسع في مختلف المدن الفينيقة.

كما برع الفينيقيون بتزيين الجدران بقطع الزجاج الملونة كذلك ساعد توافر الأخشاب الكبيرة في فينيقيا على صناعة السفن في موانئ صيد وصور وجبيل، وكان المجدفون عادة من العبيد.

٣.٢.٣ التجارة:

كان ضيق منطقة فينيقيا وفقرها، وتكاثف السكان وكثرة المدن، وموقع الساحل الفينيقي الإستراتيجي بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، وكثرة الاخشاب الصالحة لبناء السفن... كل هذا من العوامل التي دفعت الفينيقيين أن يتوجهوا بأنظارهم نحو البحر

ويمارسوا التجارة البحرية على نطاق واسع، فكانوا بحق أول أمة بحرية في التاريخ.

وقد اتجه الفينيقيون في البداية إلى قبرص وأتوا منها بالمنتجات الزراعية والنحاسية، ثم اتجهوا بعد ذلك نحو مصر وأسسوا فيها المستودعات والمحطات التجارية، ثم تحولوا شمالًا نحو رودوس وكريت وعالم البحر الأسود وإيجة وعادوا من هناك بالأسماك المملحة والذهب والفضة والرصاص والقصدير، ثم ذهبوا إلى نقاط أبعد في حوض البحر الأبيض المتوسط، فوصلوا إلى صقلية ومالطة وعبروا مضيق جبل طارق إلى بحر الظلمات حتى وصلوا بروتونية في فرنسا، ومن هناك انطلقوا إلى سواحل انجلترا الغنية بالقصدير حتى أنهم كانوا يطلقون عليها بلاد القصدير.

وفي الألف الأول قبل الميلاد انتشرت المستعمرات الفينيقية التجارية في حوض البحر المتوسط، حيث نجح الفينيقيون في تأسيس عدة مدن في صقلية ومالطة وجزر البليار وعلى سواحل فرنسا وأسبانيا وشمال إفريقيا غير أن قرطاجة (قرب تونس الحالية وكان اسمها الفينيقي قارط هادشت بمعنى المدينة الجديدة) كانت أهم المستعمرات التجارية الفينيقية قاطبة، فقد استطاعت هذه المستعمرة ضم جزء كبير من الحوض الغربي للبحر المتوسط تحت سيطرتها، وظلت تتصارع مع الإمبراطورية الرومانية زمنًا طويلًا فيما يعرف باسم الحروب البونية، ولكن استطاع الرومان في النهاية الإستيلاء على قرطاجة في عام ١٤٦ قبل الميلاد، فهدموها وخربوها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه رغم ادعاء الملوك الفينيقيين بالسلطة على مستعمراتهم غير أن سيطرتهم في الواقع كانت اسمية فقط على تلك المستعمرات باستثناء بعض الحالات النادرة، حيث كانت مستعمرات المدن الفينيقية بصورة عامة مستقلة عن المدينة

الأم واقتصر الأمر على إقامة علاقات طيبة معها وتقديم بعض الضرائب أو الهدايا لمعبد الإله ملقارت في صور.

٣.٣ الفكر الديني:

كانت ديانة الفينيقيين تدور حول تقديس قوى ومظاهر الطبيعة شأنها في ذلك شأن ديانة معظم الساميين، وآلهة الفينيقيين أرضية تسكن في السهول والجبال والأنهار، ثم أصبح لبعضها صفات سماوية أو بحرية إلى جانب صفتها الأرضية، وهي أيضًا آلهة محلية فلكل مدينة إله خاص، ويطلق على كل معبود اسم بعل بمعنى سيد أو مالك المدينة، فمثلًا وليس حصرًا الإله ملكارت يعني ملك المدينة (في صور).

وقدس الفينيقيون الآلهه المؤنثة وكانت الإلهة عندهم تعرف باسم بلعث، فبلعث جبيل هي عشتارت التي تقابل عشتار البابلية. وكان الجو عند الفينيقيين يمثل الإله الأب، بينما تمثل الأرض الإلهة الأم، أما الإله الأعلى فكان يعرف باسم إيل أو عليان، وهو الذي يوحد مع الإله بعل وكان يعد إله المطر والمحاصيل، وتعد الإلهة عشتارت إلهة الحب والحرب هي زوجته.

وقد مارس الفينيقيون الطقوس الدينية داخل المعابد أو خارجها وكانت تصنع للآلهة تماثيل توضع في زوايا المعابد التي كانت تضم إلى جانب الكهان والكاهنات عددًا من العاهرات المقدسات التي كانت تضحي بعذريتها في معبد عشتارت إذا أرادت أن تكسب رضا الآلهة.

وقد اعتقد الفينيقيون في البعث مثلما الحال في مصر الفرعونية، حيث عثر على بعض أواني الطعام والشراب وأدوات الزينة والأسلحة مع الموتى، كما يظهر أنهم تأثروا بما كان متبعًا عند

المصـــريين، حيـــث كانـــت تـــوابيتهم فـــي الهيئـــة الآدميـــة كالتوابيـــت المصـــرية (شـــكل رقـــم ٢)، بالإضـــافة إلـــى تزينهـــا كنظيرتهـــا المصـــرية بنقـــوش وكتابـــات دينيـــة ومنهـــا نقـــوش تمثـــل الموكـــب الجنـــزي بمـــا فيـــه مـــن نائحات وحملة للقرابين (شكل رقم ٣).

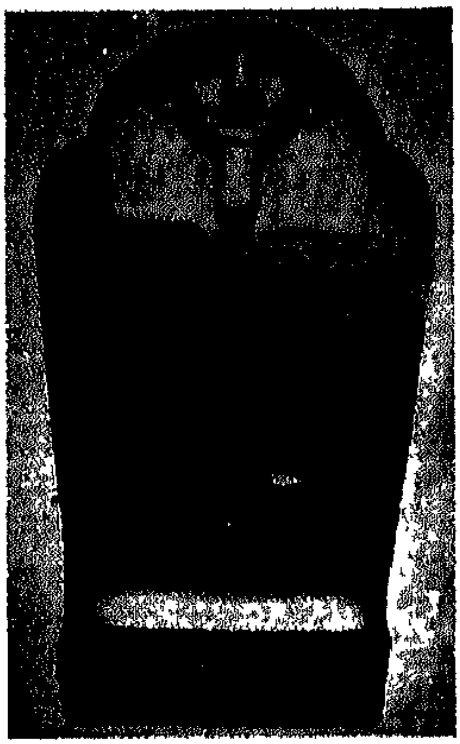

شكل رقم (٢)

تابوت في هيئة أدمية لأحد ملوك صيدا

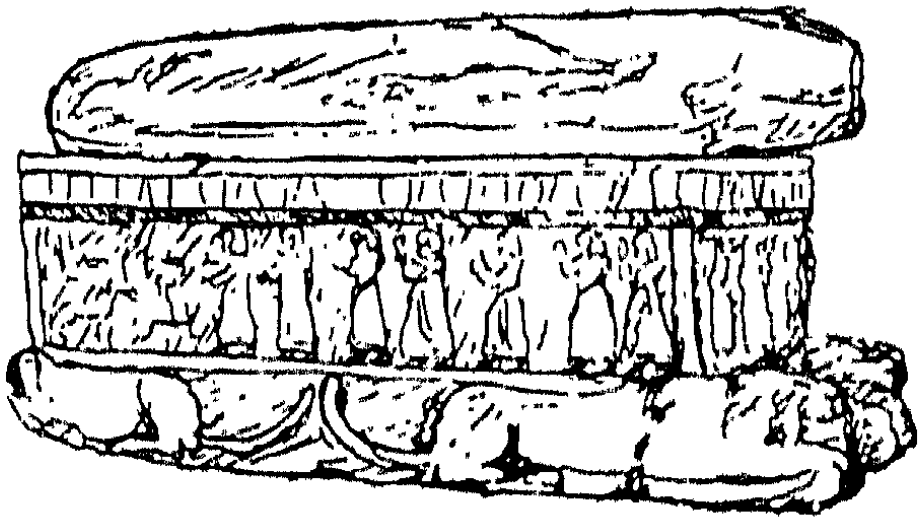

شكل رقم (٣)

تابوت لملك من جبيل مبينًا عليه الموكب الجنزي

وعلاوة على ذلك، فقد كان القوم يمارسون عادة التضحية بالأطفال عند تأسيس المباني الجديدة وهؤلاء كانوا يدفنون في أواني فخارية كانت توضع تحت أرضية المنزل. ومن أشهر أساطيرهم الدينية ملحمة تتحدث أن إله الموت (موت) يقتل إله النبات (عليان بعل)، غير أن صديقته الإلهة (عناة) تنتقم له، فيبعث حيًا الإله الصغير "عليان بعل" على غرار أوزيريس في مصر وتموز في بلاد الرافدين. وهناك أيضًا بعض القصائد الدينية التي تتحدث عن مآثر الأبطال كصراع سيد الأرض مع سيد البحر، و ترمز الأسطورة إلى ذلك بهجوم البحر على البر ثم تراجعه عنه.

٤.٣ اللغة والكتابة:

لا ينحصر فضل الفينيقيين على الإنسانية في ميدان المغامرات البحرية فحسب، ولا في ميدان الفنون والصناعات فحسب، بل يمتد أيضا ليشمل ميدان الثقافة والفكر، ذلك أن السفن الفينيقية

لم تكن تحمل البضائع فحسب بل كانت تحمل المؤثرات الثقافية التي كان التجار الفينيقيون يحملونها معهم أينما ذهبوا.

ويعد اختراع الحروف الأبجدية أهم ما أعطاه الفينيقيون للحضارة الإنسانية، وقد اكتشفت أبجدية في مدينة أوجاريت تعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، ثم اكتشفت أبجدية أخرى في مدينة جبيل أحدث من أبجدية أوغاريت بحوالي قرن من الزمان، وتتألف هذه الأبجدية من ٢٢حرفًا ساكنًا تكتب من اليمين إلى اليسار.

وقد نقل اليونانيون هذه الأبجدية في القرن التاسع قبل الميلاد بعدما أدخلوا عليها بعض التعديلات، فكتبوها من الشمال إلى اليمين، كما ظلت بعض الأحرف اليونانية تحمل الاسم الفينيقي السابق مثل (ألفا) وكانت بالفينيقية (ألف) بمعنى ثور، وحرف (بيتا) وكانت بالفينيقية (بيت) بمعنى (المنزل). ثم انتقلت هذه الأبجدية من اليونانيين إلى الرومانيين لتصبح أساس الأبجدية الأوربية الحديثة، وكذلك نقل الآراميون أبجديتهم عن الفينيقية ثم أعطوها للعرب والهنود والأرمن وغيرهم من الشعوب الشرقية.

هذا وهناك من الباحثين من يرى أن الأبجدية وجدت أولًا في اللغة المصرية القديمة، حيث كانت هناك رموز تدل على حروف إلى جانب الرموز المستعملة ككلمات أو مقاطع وكل ما قام به الفينيقيون هو أنهم طوروا هذه الفكرة واستخدموا الرموز للدلالة على حروف فقط، ومع ذلك لم تصبح اللغة الفينيقية لغة دولية، وإنما كانت اللغة الأكدية هي التي تعد لغة دولية رسمية معترف بها.

هذا عن الأبجدية الفينيقية، أما عن الأدب الفينيقي، فلم يصلنا منه إلا وثائق قليلة؛ وذلك لأنه كان يكتب في معظمه على أوراق البردي، وهذه الأوراق قابلة للعطب، فتلفت بمرور الزمن ولم

يبق منها إلا القليل، غير أن ما تبقى منها يشير في الوقت ذاته إلى أن النهضة الأدبية الفينيقة بلغت ذروتها في القرن السادس قبل الميلاد، وتمثلت في أحد الشعراء الفينيقين من أهل بيروت ألف مجموعة من الأشعار ترجمها إلى الإغريقية أحد أبناء بيبلوس في القرن الثامن الميلادي.

ومن حسن الطالع أن العبرانيين قد اقتبسوا أحسن ما في الأدب الفينيقي، وظهر صدى ذلك في كتبهم الدينية وفي شعرهم وحكمهم وأمثالهم المتمثلة في المزامير وفي ماورد في سفر التكوين وأقوال الأنبياء، وقد ظلت هذه الحقيقة مجهولة حتى كشفت مدينة أوجاريت الفينيقية، حيث كشفت في هذه المدينة ألواح من الصلصال عليها كتابات فينيقية بالقلم المسماري من سنة ١٤٠٠ قبل الميلاد، وقد أظهرت هذه الألواح أن العبرانيين اقتبسوا كثيرًا من تراث الفينيقيين، وخاصة بعض الأساطير التي تدور حول الصراع بين الخصب والجفاف أو بين الإنبات والموت ثم البعث وإن كنا نعتقد بأن هذه كلها يمكن إرجاعها في أصلها إلى أسطورة أوزير المصرية.

ثبت بمراجع هذا الفصل:

١. أمين عبد الفتاح عامر: *تاريخ الشرق الأدنى القديم*، الطبعة الأولى، ب.م، ٢٠١٠م.

٢. حسن أحمد محمود: الساميون القدماء (العبرانيون، الآراميون، الفينيقيون)، *في كتاب حضارة مصر والشرق الأدنى القديم*، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٧٤م.

٣. رمضان عبده على : *تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته*، الجزء الثاني، دار نهضة الشرق، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

٤. فاطمة الزهراء عزوز: *الروابط الفكرية الفينيقية العبرانية المعتقدات الدينية – الآداب – الفنون من القرن العاشر قبل الميلاد إلى القرن*

الأول الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، ٢٠٠٦م.

٥. محمد أبو المحاسن عصفور: *معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجئ الإسكندر*، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩م.

٦. محمد أبو المحاسن عصفور: *المدن الفينيقية*، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

٧. محمد أبو المحاسن عصفور: *معالم حضارات الشرق الأدنى القديم*، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٧م.

٨. ماجد أحمد علي الحمداني: الفينيقيون في شرق وغرب البحر المتوسط، *مجلة دراسات في التاريخ والاثار، كلية الآداب، جامعة بغداد*، العدد ٥٧، ٢٠١٧م.

٩. محمد بيومي مهران: *بلاد الشام*، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠م.

١٠. محمد بيومي مهران: *حضارات الشرق الأدنى القديم*، الجزء الأول، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦م.

١١. نعيم فرح: موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم(السياسى والاجتماعى والاقتصادى والثقافى)، دار الفكر، دمشق، (د.ت).

١٢. نور الدين راهم: التجارة عد الفينيقيين ١٢٠٠- ٨١٤ ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة منتوري- قسنطينة، ٢٠١٠.

١٣. إبراهيم محمد علي الهلالي: علاقة بلاد الرافدين بالساحل الفينيقي من العصر الآشوري الحديث حتى نهاية العصر الكلداني (٩١١- ٥٣٩ ق.م) دراسة تاريخية حضارية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ٢٠١٣م.

الفصل الثالث

تاريخ العبرانيين وحضارتهم.

١. بنو إسرائيل قبل عصر الملكية.

١.١ الموطن الأصلي للعبرانيين.

٢.١ بنو إسرائيل في مصر.

٣.١ دخول بني إسرائيل كنعان.

٤.١ عصر القضاة.

٢. تأسيس الملكية الإسرائيلية.

١.٢ أسباب قيام الملكية الإسرائيلية .

٢.٢ طالوت.

٣.٢ داود

٤.٢ سليمان.

٥.٢ إنقسام المملكة الإسرائيلية وإضمحلالها.

٣. دويلة إسرائيل.

٤. دويلة يهوذا.

٥. مظاهر الحضارة العبرانية.

١.٥ نظم الحكم.

٢.٥ العقائد.

٣.٥ الفن.

٤.٥ اللغة والكتابة.

٥.٥ الموسيقى.

الفصل الثالث

تاريخ العبرانيين وحضارتهم

١. بنو إسرائيل قبل عصر الملكية:

يستهدف هذا الجزء إلى التعرف على الموطن الأصلي للعبرانيين، وتاريخ دخولهم أرض مصر، ثم خروجهم منها واستقرارهم بأرض كنعان.

١.١الموطن الأصلي للعبرانيين:

العبرانيون هم الجماعة السامية الرابعة التي نزحت من بوادي شبه الجزيرة العربية إلى سوريا عن طريق كنعان في نفس الوقت الذي وصلها فيه الآراميون تقريبًا، فتسلسل العناصر السامية التي وصلت إلى الإقليم السوري كان على النحو التالي: الأموريون تركزوا في بادي الأمر في الشمال، بينما استقر الكنعانيون في الساحل، في حين استقر الآراميون في المنطقة الداخلية، أما العبرانيون فقد استقروا في الجنوب (فلسطين).[1]

وتشير التوراة إلى أن هؤلاء العبرانيين قد أتموا هجرتهم على ثلاث مراحل، فحدثت الهجرة الأولى خلال القرن الثامن عشر قبل الميلاد، حيث نزحوا إلى الصحاري القريبة من شمال بلاد العراق، بينما تقرن الهجرة الثانية في زمنها مع هجرة الآراميين في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، أما الهجرة الثالثة فحدثت في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وفيها خرجوا من مصر إلى جنوب شرق

---

(١) محمد أبو المحاسن عصفور: *معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجئ الإسكندر*، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩م، ص٢٨٣-٢٨٤.

فلسطين بعد أن تجولوا لفترة ليست بالقصيرة في شبه جزيرة سيناء.[١]

وعلى أية حال، فعندما وصل العبرانيون في هجرتهم الأولى إلى سوريا كان السواد الأعظم فيها من الأموريين والكنعانيين، بالإضافة إلى بعض العناصر غير السامية كالحيثيين والحوريين وغيرهم، [٢] وقد تأثر هؤلاء العبرانيون بكثير من مظاهر الحضارة والثقافة الكنعانية من حيث تعلمهم الزراعة والحياة الحضرية المستقرة والكتابة من الكنعانيين حتى أنهم هجروا لهجتهم السامية الأصلية واتخذوا اللغة الكنعانية. [٣]

وتحدثنا التوراة أن جدهم الأكبر سيدنا إبراهيم – عليه السلام– قد أتى من مدينة أور في جنوب العراق، واستقر قرب حبرون (الخليل) في فلسطين، وذلك في حوالي ١٨٥٠ قبل الميلاد، وأن حفيده يعقوب بن اسحاق –عليه السلام– قد عاش لفترة في فدان آرام قبل إنتقاله إلى مصر، وبعد أن أصبح صاحب الشأن بينهم بدل اسمه إلى إسرائيل، كما بدل اسم أخوه عيسو إلى أدوم وسمي ورثته بالأدوميين، وهكذا أخرج أحفاد عيسو من العبرانيين كما أخرج إسماعيل وأبناؤه. [٤]

٢.١ بنو إسرائيل في مصر.

في حوالي عام ١٦٥٦ قبل الميلاد رحل نبي الله يعقوب وأولاده إلى مصر بدعوة من ولده الصديق يوسف عليه السلام،

---

(١) طه باقر: *مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة*، الجزء الثاني، دار الوراق للنشر المحدودة، بيروت، ٢٠١١م، ص ٣١٧.

(٢) محمد أبو المحاسن عصفور: *المرجع السابق*، ص ٢٨٤.

(٣) طه باقر: *المرجع السابق*، ص ٣١٨.

(٤) حلمي محروس اسماعيل: *الشرق العربي القديم وحضارته: بلاد مابين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة*، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م، ص١٧١.

والذي قد وصل إلى مكانة مرموقة في مصر، وأصبح أمينًا على الخزانة المصرية على أيام حكم الهكسوس (١٧٢٥-١٥٧٥ ق.م). وقد نزل سيدنا يعقوب وأولاده في بلدة بلبيس بشرق الدلتا، واستمرت ذريته في مصر لمدة بلغت زهاء أربعة قرون نعموا فيها بالإزدهار كثيرًا. (١)

وتجدر الإشارة إلى أن وجود بني إسرائيل في مصر لا يرتبط بالعامل الإقتصادي فحسب، بل ارتبط أيضًا بعامل ديني تمثل في نشر التوحيد بين المصريين، وربما كان هذا التوحيد هو السبب الرئيسي الذي جعل هذه الجماعة تنغلق على نفسها داخل المجتمع المصري وأدت إلى عزلتهم عن المجتمع المصري وعاداته، وأدت في النهاية إلى خروج هذه الجماعة من مصر بقيادة النبي موسى عليه السلام. ومن ثم، فالسبب الرئيسي الذي أدى إلى خروج بني إسرائيل من مصر كان سبب ديني، ولم يقتصر الخروج على بني إسرائيل فحسب، بل شمل أيضًا معظم الذين اعتنقوا التوحيد الذي ناد به سيدنا موسى عليه السلام. (٢)

وقد اختلف المؤرخون في الفرعون الذي خرج بنو إسرائيل في عهده من مصر، وبالتالي في تاريخ الاستقرار الذي تلاه في فلسطين، غير أن أقرب الآراء إلى الصواب هو الرأي القائل بأن الخروج حدث على أيام الفرعون مرنبتاح (١٢٢٤-١٢١٤ ق.م)، ولابد أن يكون الخروج قد حدث في العام الأخير من حكم مرنبتاح، وذلك لأن التوراة والقرآن الكريم، إنما يقولان أن الفرعون قد غرق في

---

(١) حلمي محروس اسماعيل: *المرجع السابق*، ص ١٧١-١٧٢.

(٢) أحمد محمود هويدي: *معالم تاريخ الشعوب العربية القديمة: بلاد الرافدين – سوريا- فلسطين- الجزيرة العربية*، دار الثقافة العربية، القاهرة، د.ت، ص١٩٠-١٩١.

البحر، وإن أضاف القرآن بأن جثته قد انتشلت لتكون آية لمن خلفه.[1]

٣.١ دخول بني إسرائيل كنعان.

من المعروف أن سيدنا موسى مات قبل دخول بني إسرائيل أرض كنعان، وتولى القيادة بعده يوشع الذي عبر مع أتباعه نهر الأردن في حوالي عام ١١٨٦ قبل الميلاد، ويذكر أنهم قد سُموا العبرانيون بعد هذا العبور.

هذا وقد استولى العبرانيون على مدينة أريحا الكنعانية، وأمعنوا في قتل سكانها، وأعملوا فيها الخراب والفساد، ثم مارسوا هذه الأساليب الوحشية في المدن الأخرى التي بسطوا نفوذهم عليها، ولكن بعض المدن المحصنة استعصت عليهم مثل أورشليم وبيت شان، فلم تسقط المدينة الأخيرة في أيديهم إلا في حوالي ١٠٠٠ قبل الميلاد، وقد استغرق إتمام سيطرتهم على الأراضي الكنعانية ما يقرب من قرن من الزمان. [2]

وعلى أية حال، فبعد أن استقر العبرانيون في الجهات التي وصلوا إليها اختلطوا بسكانها ومن بينهم أقرباؤهم الذين كانوا قد فضلوا البقاء فيها من قبل ولم يهاجروا إلى مصر، وبعدئذ قسموا الجهات التي بسطوا نفوذهم عليها بين إحدى عشرة قبيلة من القبائل الاثنى عشر التي تضمهم، أما القبيلة الباقية وهي قبيلة لاوي الكهنوتية فقد كُرست نفسها للشئون الدينية، ووزعت على القبائل الأخرى وهذا ما يعرف بعصر القضاة. [3]

---

(١) محمد بيومي مهران: *بلاد الشام*، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص٢٣٤-٢٣٥.

(٢) حلمي محروس اسماعيل: *المرجع السابق*، ص ١٧١-١٧٢.

(٣) محمد أبو المحاسن عصفور: *المرجع السابق*، ص ٢٨٦.

٤.١ عصر القضاة (١٢٠٠-١٠٢٠ ق.م).

يبدأ عصر القضاة بموت يشوع، وينتهي بقيام الملكية الإسرائيلية على يد طالوت في عام ١٠٢٠ ق.م، ولم يكن القضاة هنا قضاة بالمعنى المفهوم، وإنما كانوا طبقة من الرجال المحاربين والمنقذين، أقامهم الرب " ليخلصوا بني إسرائيل من ناهبيهم"، ولم يكونوا خلفاء لبعضهم بعض، بل إننا لنشهد وجود أكثر من واحد في وقت واحد. (١)

وقد لعب هؤلاء القضاة دورًا كبيرًا في توجيه بني إسرائيل دينيًا ومنعهم من الإنزلاق في متاهات الكفر والفجور في تلك الفترة من تاريخهم، (٢) **كما برز بعضهم في أزمان الشدائد لقيادة قومهم في الحرب مع الأقوام المجاورة كالكنعانيين والفلسطينيين والمدينيين وغيرهم، ومن هؤلاء "شمشون الجبار" الذي اشتهر في حربه مع الفلسطينيين.** (٣)

وعلى أية حال، فقد انتهى عصر القضاة على أيام" عالي"، حيث نجح الفلسطينيون في هزيمة العبرانيين في حوالي عام ١٠٥٠ قبل الميلاد في أفيق - الواقعة على مبعدة خمسة كيلومترات شرقي حيفا- واستولوا على تابوت العهد ونقلوه إلى أشدود، وظل لهم اليد العليا على العبرانيين حتى عهد الملك طالوت ١٠٢٠-١٠٠٤ ق.م) أول الملوك العبرانيين.(٤)

---

(١) محمد بيومي مهران: *المرجع السابق*، ص٢٤١-٢٤٣.

(٢) إسماعيل ذياب خليل: السامريون في العهود الإسرائيلية القديمة، *مجلة الأستاذ*، العدد ٢٠٦، المجلد الثاني، ٢٠١٣م، ص١١٦.

(٣) طه باقر: *المرجع السابق*، ص ٣٢٢.

(٤) محمد بيومي مهران: *المرجع السابق*، ص٢٤٣-٢٤٩.

٢. تأسيس الملكية الإسرائيلية.

١.٢ أسباب قيام الملكية الإسرائيلية.

تضافرت عدة عوامل أدت إلى ضرورة إنهاء حكم القضاة وقيام الملكية الإسرائيلية في الربع الأخير من القرن الحادي عشر قبل الميلاد، فمنها (اولًا) تهديد الفلسطينيين المستمر لبني إسرائيل، إلى جانب التهديد العموني لهم على حدودهم الشرقية كان من أقوى العوامل التي أدت إلى توحيد القبائل الإسرائيلية تحت لواء واحد و قيام الملكية الإسرائيلية، ومنها(ثانيًا) محاولة بني إسرائيل أن يكون عندهم نظام ملكي إقتداءًا بالأمم المجاورة التي كان يحكمها ملوك كالعمونيين والمؤابيين والأدوميين، ومنها (ثالثًا) الكهنوت الإسرائيلي كانت قد تسلمته أياد ضعيفة منذ أيام "فنحاص" حتى أن "عالي" كان من غير بيت "العازار" الأبن الأكبر لسيدنا هارون عليه السلام، والذي يجب وفقا للنظام الإسرائيلي أن تستمر الكهانة في نسله. [١]

٢.٢ طالوت (١٠٢٠-١٠٠٤ ق.م).

هو أول ملك جمع صفوف العبرانيين ضد الفلسطينيين، وقد عينه "صموئيل النبي" عندما طلب العبرانيون منه أن يعين لهم" ملكًا ليحكم ويقضي بينهم مثل الأقوام والشعوب الأخرى"، خصوصًا بعد الهزائم الأخيرة التي تعرضوا لها من قبل الفلسطينيين والعمونيين، فأختار "النبي صموئيل" طالوت (أو شاؤول)- الذي ينتمي إلى قبيلة "بيامين"- ليكون أول ملكًا لبني إسرائيل. [٢] وقد نجح طالوت في تحقيق بعض الإنجازات العسكرية كهزيمة العماليق وسبى ملكهم أجاج حيًا، غير أنه أخفق في مواجهة الفلسطينيين الذين ازداد نفوذهم منذ أيام صموئيل، وسيطروا على عدة مدن داخلية، ثم حدثت

---

(١) محمد بيومي مهران: *المرجع السابق*، ص٢٤٥.

(٢) طه باقر: *المرجع السابق*، ص٣٢٤.

بعد ذلك معركة فاصلة بين الفلسطينيين وطالوت على جبل جلبوع انتهت بهزيمة العبرانيين حتى أن طالوت نفسه قتل هو وأبنائه الثلاثة.

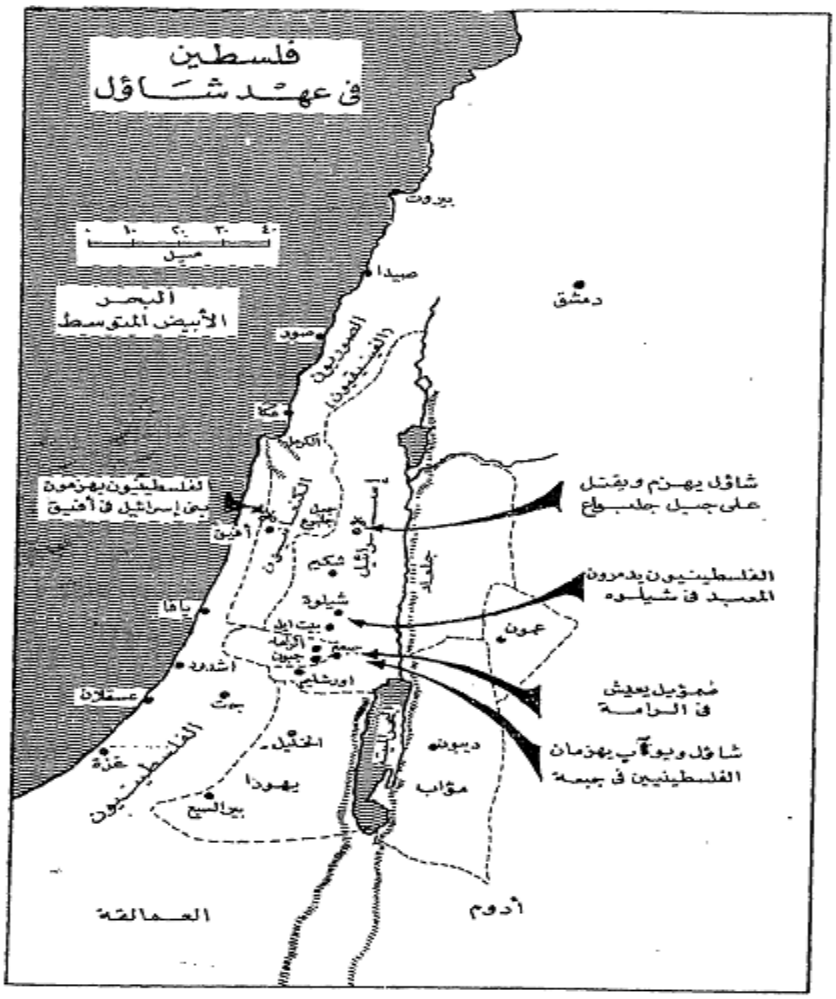

خريطة توضيحية لفلسطين في عهد شاؤل. [1]

٣.٢ داود(١٠٠٤ – ٩٦٠ ق.م).

تولى سيدنا داود قيادة العبرانيين بعد مقتل طالوت، ونجح في توحيد القبائل العبرانية الشمالية والقبائل العبرانية الجنوبية بعد حالة الإنقسام التي شهدتها بعد وفاة طالوت، حيث استقلت القبائل

---

(١) رشاد عبد الله الشامي: *اليهود واليهودية في العصور القديمة*، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ١٠٣.

الشمالية (أفرايم، بني منسي، بنيامين، زبولون، أشير، نفتالي) عن يهوذا وأسست لنفسها إتحاد مميز يعرف باسم إسرائيل، واعترفت بأيشبعل ملكًا عليها، بينما ظل داود حاكمًا على يهوذا في الجنوب لمدة سبع سنوات ونصف، ثم أصبح حاكمًا على إسرائيل ويهوذا معًا بعدما نجح في توحيدهما.[١]

وإلى جانب هذا الإنجاز الداخلي، نجح داود في التخلص من نفوذ الفلسطينيين، غير أنه فشل في إخضاعهم سياسيًا للمملكة العبرانية؛ وربما يرجع السبب في ذلك إلى أن مصر، رغم من أنها كانت تمر بفترة ضعف وقتذاك، قد أعطت الفلسطينيين من تأييدها – في صراعهم مع العبرانيين– ما يمنع سيدنا داود عليه السلام من ضمهم إلى نفوذه. [٢]

وعلى أية حال، فبعدما تحرر سيدنا داود من نفوذ الفلسطينيين عمل على توسيع مملكته إلى حد لم تبلغه في أي وقت مضى، فنجح في إخضاع أدوم التي كانت تتمتع بأهمية إقتصادية بالغة؛ نظرًا لثرائها بالمعادن إلى جانب تحكمها في الطرق التجارية، كما نجح في تحقيق انتصارات على مؤاب وعمون وبعض المدن الآرامية، والتي منها دمشق. [٣]

وبالإضافة إلى ذلك حارب سيدنا داود اليبوسيين، وانتزع منهم مدينة أورشليم التي أصبحت عاصمة لمملكته. وفي الواقع لقد كان إختيارها عاصمة للمملكة العبرانية إختيارًا موفقًا؛ نظرا لموقعها المتوسط بين القسمين الشمالي والجنوبي، وقد بني سيدنا داود فيها

---

(١) محمد على سعد الله: *في تاريخ الشرق الادنى القديم مصر – سورية القديمة*، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ٢٠٠١م، ص ٢٥٥-٢٥٦.

(٢) محمد بيومي مهران: *المرجع السابق*، ص٢٥٧-٢٥٨.

(٣) محمد علي سعد الله: *المرجع السابق*، ص٢٥٥.

قصره الملكي على أيدي معماريين صوريين، كان قد أرسلهم صديقه حرام ملك صور (٩٨١-٩٤٧ ق.م)، كما أقام في أورشليم معبدًا قوميًا لليهود وهو معبد يهوه جاعلًا بذلك عبادة يهوه الديانة الرسمية للمملكة الموحدة.[١]

٤.٢ سليمان(٩٦٠-٩٢٢ ق.م).

خلف سيدنا داود في حكم المملكة العبرانية ولده سيدنا سليمان عليه السلام، والذي بلغت المملكة في عهده أوج إزدهارها، حيث ساد الرخاء فيها بصورة لم يشهدها العبرانيون من قبل، كما أصبحت المملكة في عهده تمتد من دان أسفل جبل عرمون إلى بئر السبع على مشارف صحراء النقب، وهي حدود تشمل كل الأراضي الفلسطينية تقريبًا. [٢]

ولا يرجع هذا الإزدهار الذي شهدته المملكة العبرانية وقتذاك إلى إهتمام سيدنا سليمان بالنواحي العسكرية قدر اهتمامه بالنواحي الإدارية والتجارية والعمرانية وغيرها، حيث تميز هذا العهد بالخصائص التالية:

أولًا: الإهتمام بالجوانب الإدارية، حيث قسم المملكة إلى اثنتى عشرة محافظة، ونصب على كل منها محافظ يتولى جباية الضرائب، كما فرض على كل واحدة منها إعاشة الملك وحاشيته وجيشه شهرًا في السنة. [٣]

ثانيًا: الإهتمام بالتجارة، حيث شغلت التجارة حيزًا كبيرًا من تفكيره، فاحتكر كثير من الموارد لاسيما الجياد، واهتم بطرق التجارة

---

(١) طه باقر: *المرجع السابق*، ص٣٢٥.

(٢) حلمي محروس إسماعيل: *المرجع السابق*، ص١٧٦.

(٣) محمد بيومي مهران: *المرجع السابق*، ص٢٧٦.

سواء البحرية منها أو البرية، وبالذات طرق القوافل التي تمر عبر وادي عربة وشرق الأردن إلى سوريا، والطرق المتجهة من مصر إلى سوريا، [١] كما أنشأ أسطولا تجاريًا في البحر الأحمر، كان ينطلق من ميناء عزيون جابر قرب العقبة ثم يعود محملًا بالذهب من شبه الجزيرة العربية وأثيوبيا. [٢]

ثالثًا: الإهتمام بالجوانب المعمارية، حيث ينسب لسيدنا سليمان أعمال عمرانية عظيمة، لعل أهمها القصر العظيم الذي استخدم في بنائه المهندسيين الفينيقيين واستغرق بناؤه ثلاثين عامًا، وقد أكثر سيدنا سليمان من استخدام العمد الخشبية المصنوعة من خشب الأرز اللبناني فسمي القصر باسم " قصر وعر لبنان". [٣]

وإلى جانب القصر شيد نبي الله سليمان المعبد المشهور باسم هيكل سليمان، والذي يظن أن موضعه الآن تحت قبة الصخرة، واستغرق بناؤه سبع سنين، كما اهتم ببناء الحصون والقلاع والثكنات والإسطبالات. [٤]

رابعًا الإهتمام بالتنظيمات العسكرية: حيث أدخل العجلات الحربية في الجيش، وربما كان السبب المباشر في ذلك هو خوفه من تطلعات الآراميين في دمشق، حيث عملوا على استرداد نفوذهم المفقود بعد موت سيدنا داود، ومن ثم فقد أصبحوا يمثلون تهديدًا مباشرًا لإسرائيل نتيجة استخدامهم لهذا السلاح. وطبقا لما جاء في

---

(١) محمد علي سعد الله: *المرجع السابق*، ص٢٥٧.

(٢) حلمي محروس إسماعيل: *المرجع السابق*، ص١٧٦.

(٣) حسن أحمد محمود: الساميون القدماء (العبرانيون، الآراميون، الفينيقيون)، في كتاب *حضارة مصر والشرق الأدنى القديم*، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ٣٦٢.

(٤) طه باقر: *المرجع السابق*، ص٣٢٥.

التوراة فقد كان سليمان يملك ما بين ١٤٠٠-٤٠٠٠ حصانًا، [١] وقد حصل على الجياد من قيليقية والعربات من مصر. [٢]

خامسًا المصاهرات السياسية: حيث أدرك سيدنا سليمان أن مملكته لن تعيش في سلام إلا بالتفاهم مع جيرانها، وأن من وسائل هذا التفاهم أن يرتبط بروابط المصاهرة مع جيرانه من الملوك والأمراء، فتزوج من بنات أمراء المؤابيين والآراميين والكعنانيين وغيرهم، بل وقد تخطت مصاهراته حدود الشام، فصاهر بسونس الثاني أخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين، وقدم للملك المصري حصن جزر الكنعاني كمهر لإبنته. [٣]

٥.٢ إنقسام المملكة الإسرائيلية وإضمحلالها.

بوفاة سيدنا سليمان فقدت المملكة العبرانية عصرها الذهبي، حيث انقسمت إلى مملكتين، الأولى في الجنوب وعاصمتها أورشليم، والثانية في الشمال وعاصمتها السامرة، [٤] ومن العوامل التي مهدت لهذا الإنقسام ما يلي:

أولًا: الثورات الداخلية التي نشبت في أواخر عهد سيدنا سليمان، نتيجة للضرائب الباهظة التي فرضها على بني إسرائيل وتسخيرهم لبناء قصر الملك وهيكل الرب، فمثلًا حاول يربعام بن ناباط من سبط أفرايم الانشقاق عن المملكة العبرانية، غير أن سيدنا سليمان تصدى له، مما اضطر يربعام إلى الهرب إلى مصر عبر الأردن، وبالتالي فشلت ثورته إلى حين.

---

(١) محمد بيومي مهران: *المرجع السابق*، ص٢٨١-٢٨٢.

(٢) محمد علي سعد الله: *المرجع السابق*، ص٢٥٦.

(٣) محمد بيومي مهران: *المرجع السابق*، ص٢٧٩-٢٨٠.

(٤) أحمد علي سعد الله: *المرجع السابق*، ص٢٥٩-٢٦٠.

ثانيًا: تغير الأوضاع الإقليمية والتي بمقتضاها توقفت العلاقات الحسنة التي كانت تجمع مصر بالعبرانيين، حيث تتطلع شيشنق مؤسس الأسرة الثانية والعشرين (الأسرة الليبية) إلى أن تستعيد مصر عظمتها وقوتها. وفي الشمال اندلعت الثورات ضد سيدنا سليمان من جانب الآراميين، فاستطاع روزن تأسيس أسرة حاكمة في دمشق، كما نصب هدد الأدومي نفسه ملكًا على أرض أدوم. [١]

وكيفما كانت الأسباب التي مهدت لهذا الإنقسام، فالواقع الذي يعيننا أن مملكة الشمال استقلت عن الجنوب، ودُعيت إسرائيل، وأختارت لنفسها يربعام أحد عبيد سليمان ليملك عليها[٢] **بعدما رفض رحبعام ابن سيدنا سليمان الإستجابة لطلب رؤساء القبائل فيها في أن يخفف عليهم عبء الضرائب التي كان والده قد فرضها. بينما تولى رحبعام مملكة الجنوب(يهوذا) بتأييد من قبيلتي يهوذا وبنيامين، واشتد الصراع بين المملكتين حتى زوال مملكة إسرائيل في القرن الثامن قبل الميلاد.** [٣]

---

(١) أحمد محمود هويدي: *المرجع السابق*، ص١٩٦.

(٢) متى المسكين: *تاريخ إسرائيل من واقع نصوص التوراة والأسفار وكتب ما بين العهدين*، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، ١٩٩٧م، ص١٠٥.

(٣) محمد علي سعد الله: *المرجع السابق*، ص٢٥٨-٢٥٩.

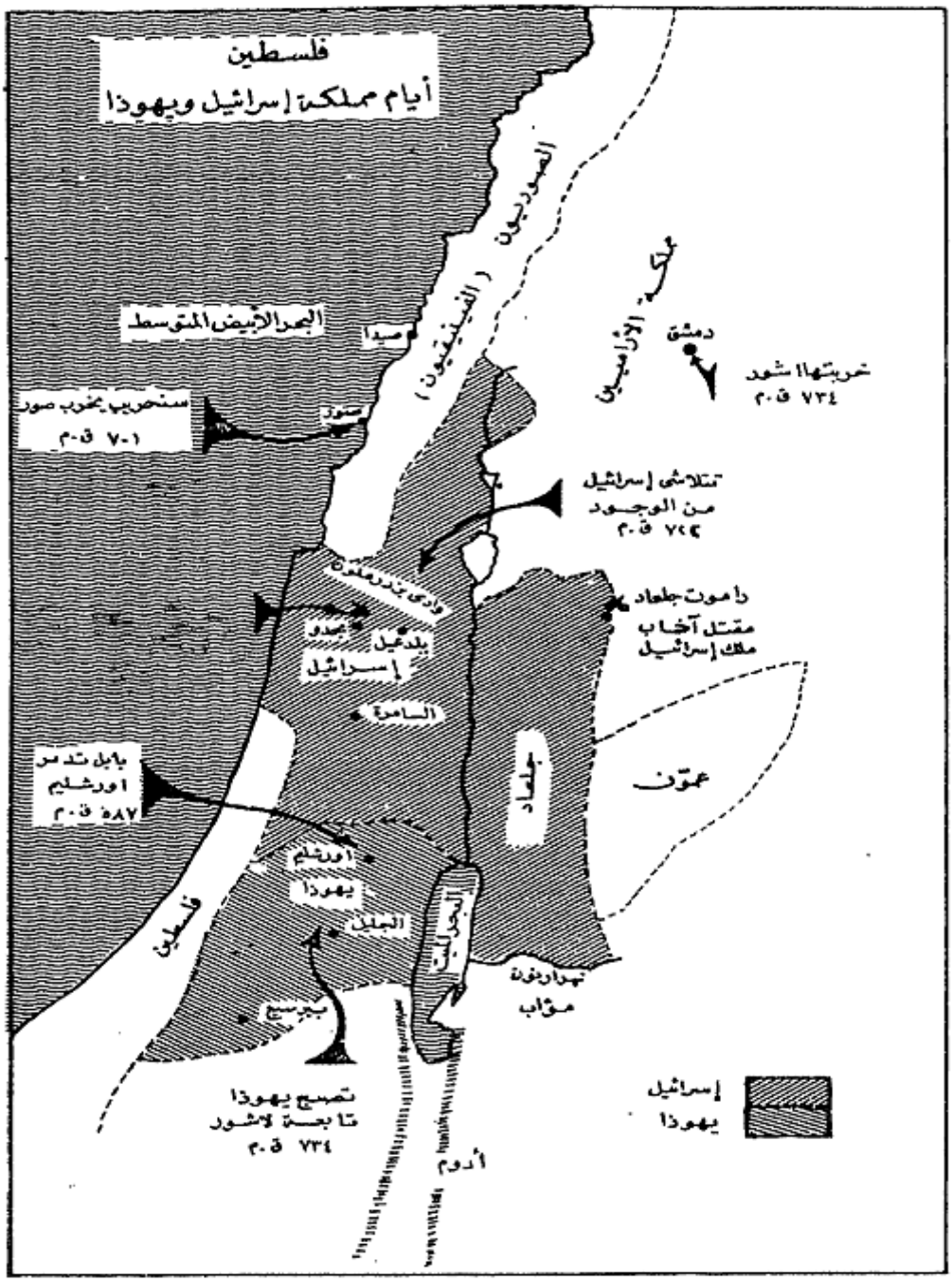

فلسطين أيام مملكة إسرائيل ويهوذا. [1]

٣. دويلة إسرائيل.

تناوب على حكم إسرائيل أربع أسرات لمدة بلغت زهاء قرنين من الزمان(٩٢٢-٧٢٢ ق.م)، وكان عمري (٨٧٦-٨٤٢ ق.م)

---

(١) رشاد عبد الله الشامي: *المرجع السابق*، ص١٢٣.

مؤسس الأسرة الثالثة فيها واحدًا من أشهر ملوكها على الإطلاق، ففي عهده دخلت أورشليم عاصمة الجنوب في طاعة الشماليين، كما ينسب له بناء السامرة وتحصينها وإتخاذها عاصمة للمملكة بعد أن بنى فيها قصرًا. (١)

وجاء بعد عمري ولده آحاب الذي قام بتوسيع قصر أبيه وزخرفته، وأصبح يعرف باسم بيت العاج؛ وذلك لوجود قطع كثيرة من الأثاث فيه مصنوعة من العاج ومكسوة بالذهب. أما عن سياسته الخارجية، فتشير المصادر إلى أن علاقة آحاب مع جيرانه كانت ودية، حيث حالف مملكة دمشق في صراعها ضد الآشوريين، كما تزوج من أبنة ملك صور وصيدا، وهذه كانت تتمتع بشخصية قوية، ففرضت سيطرتها على زوجها، كما حاولت نشر عبادة الإله الفينيقي بعل في إسرائيل، الأمر الذي ادى إلى نشوب صراع داخلي بين أنصار عبادة الإله بعل وعبادة الإله يهوه، وانتهى الأمر بعزل الملك آحاب وتولي ياهو بدلا منه. (٢)

وعلى الرغم من أن ياهو نجح في جعل عبادة الإله يهوه العبادة الوحيدة في إسرائيل، غير أنه لم يكن موفقا في سياسته الخارجية، فخضع لشلمنصر الثالث ملك آشور وقدم له الجزية، وبلغ من فرط ضعف مملكة إسرائيل وقتذاك أن انشقت عليها إحدى الإمارات التابعة لها.

ثم سرعان ما استعادت إسرائيل قوتها في عهد ملكها يربعام الثاني (٧٨٦-٧٤٦ ق.م)، حيث تمكن هذا الملك من توسيع حدود بلاده الشمالية على حساب الآراميين، وظلت إسرائيل تنعم بالهدوء إلى أن اعتلى تجلات بلاسر الثالث العرش الآشوري، ونجح في

---

(١) محمد بيومي مهران: *المرجع السابق*، ص٣٥٨,٣٦١-٣٦٥، ٣٧٥.

(٢)حلمي محروس إسماعيل: *المرجع السابق*، ص١٧٨.

إخضاع سوريا وحولها إلى مقاطعات آشورية بما في ذلك إسرائيل، التي فرض على ملكها تقديم الجزية.

وبعد بضع سنوات امتنع هوشع ملك إسرائيل عن دفع الجزية، الأمر الذي اضطر الملك الآشوري شلمنصر الخامس إلى محاصرة السامرة ثلاث سنوات، ولكنها لم تسقط إلا في يد خلفه سرجون الثاني الذي سبى زهرة شباب إسرائيل ونقلهم إلى بلاد العراق، ثم حل محلهم في السامرة وما حولها قبائل من بلاد عيلام وسوريا وبلاد العرب. (١)

٤. دويلة يهوذا.

عاشت مملكة يهوذا من بعد زوال دولة إسرائيل بنحو قرن وثلث من الزمان، وفي عهد ملكها رحبعام (٩٢٢-٩١٥ ق.م) تعرضت لغزو مصر على يد فرعونها شيشنق الأول، ولم يتمكن رحبعام من مجابهة هذا الغزو، فاستطاع شيشنق أن يخرب المدن وأن ينهب أورشليم. (٢)

ثم نعمت يهوذا بفترة من الاستقرار نتيجة حالة الضعف التي وصلت إليها الدولة المصرية وقتذاك، ولكنها تعرضت في الوقت ذاته للمضايقات من قبل الدولة الآشورية، وخاصة بعد زوال مملكة إسرائيل في الشمال، ثم حدث أن نجح البابليون وحلفائهم الميديين في التخلص من الدولة الآشورية في عام ٦١٢ قبل الميلاد، الأمر الذي أتاح الفرصة أمام مصر لاستعادة نفوذها السابق في فلسطين وسوريا، فقام فرعونها نيكاو الثاني باعداد حملة إلى فلسطين نجحت في اختراق يهوذا وعزل حاكم أورشليم المسمى يوشيا، ثم تبعها

---

(١) محمد علي سعد الله: *المرجع السابق*، ص٢٥٩-٢٦٠.

(٢) محمد أبو المحاسن عصفور: *المرجع السابق*، ص٢٩٠.

بحملة أخرى عين فيها تابعه "يهويا قيم" الذي قام بتقديم الجزية للمصريين.[1]

وما كادت يهوذا تفيق من هذه الهزائم التي منيت بها على يد المصريين حتى كانت بابل قد وطدت مُلكها، ونظمت شئونها، وبدت ترنو بأبصارها نحو فلسطين، فتقدم ملكها نبوخذ نصر إلى فلسطين، وتمكن من هزيمة القوات المصرية في كركميش سنة ٦٠٥ ق.م، بحيث جُردت مصر من كل أملاكها الآسيوية وأصبحت بابل سيدة الموقف في غرب آسيا. وكان من الطبيعي أن تلقى يهوذا مصيرها المحتوم، فحوصرت أورشليم في عام ٥٩٧ ق.م، وخربت معابدها، ونجح البابليون في أسر زهرة شبابها. [2]

وقد مكث العبرانيون في المنفى حتى نجح قورش الثاني ملك الفرس في دخول بابل في عام ٥٣٩ ق.م، حيث أقر ارجاع العبرانيين المنفيين إلى يهوذا مع إبقائها خاضعة له، وبعد زوال الإمبراطورية الفارسية خضع العبرانيين للإسكندر الأكبر، ومن بعده للسلوقيين منذ سنة ٢٠٠ ق.م إلى أن ظهر المكابيون واستولوا على أورشليم في سنة ١٦٧ ق.م. [3]

---

(١) محمد علي سعد الله: *المرجع السابق*، ص٢٦١.

(٢) حسن أحمد محمود: *المرجع السابق*، ص٣٦٥-٣٦٦.

(٣) فاطمة الزهراء عزوز: *الروابط الفكرية الفينيقية العبرانية المعتقدات الدينية – الآداب – الفنون من القرن العاشر قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي*، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، ٢٠٠٦م، ص ٦٦-٦٧.

٥. مظاهر الحضارة العبرانية.

١.٥ نظم الحكم:

١.١.٥ النظم المالية:

ترتب على قيام الملكية الإسرائيلية وما تبعها من حكومة مركزية أن تضاعفت حاجة الملوك إلى المال لكثرة النفقات ومواجهة الأعباء الجديدة التي اضطلعوا بها، ولذلك اتجهت الحكومة المركزية منذ عهد سيدنا سليمان عليه السلام إلى تصنيف الضرائب وتحديد طريقة جبايتها، ولتحقيق ذلك قسم سيدنا سليمان البلاد إلى أثنى عشر قسمًا وفرض على كل قسم أن يتكفل بنفقات البلاط شهرًا. وكان خضوع إسرائيل للنفوذ المصري والآشوري سببًا في مضاعفة الضرائب على الأهالي، بسبب الجزية المفروضة من قبل المصريين أو الآشوريين.[١]

٢.١.٥ البلاط:

كان البلاط الملكي يتكون من المذكير (كاتم أسرار الدولة)، وكاتب الدولة، ورئيس السخرة، ورئيس الجلادين، وصاحب الملك، ومدير البيت، ورجال التشريفة، وموظفو الشئون المالية وموظفو الحريم، وموظفو الحاشية، إلى جانب حكام المحافظات الذين كانوا يمثلون الملك في محافظتهم، ويتولون جباية الضرائب التي يحتاجها الملك. [٢] **وكان المعبد تابعًا لإشراف القصر الملكي بشكل مباشر، ومن الكهنة وكبار الموظفين تشكلت فئة أرستقراطية جديدة احتكرت**

---

(١) حسن أحمد محمود: *المرجع السابق*، ص٣٦٦.

(٢) محمد بيومي مهران: *بنو إسرائيل*، الجزء الرابع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩م، ص ٦٥٨-٦٥٩.

كل الحقوق ووجهت الدولة لمصلحتها الذاتية خصوصًا في أوقات الضعف. [1]

٣.١.٥ القضاء والجيش.

كان القضاء قبل قيام الملكية منوطًا بشيوخ القبائل، ثم أصبح في العصر الملكي بأيدي الكهنة، كما استدعت الحاجة في هذا العصر إلى ضرورة تسجيل الأحكام والقضايا بعد أن كانت شفوية في الفترة السابقة لقيام الملكية. وكانت الشهادة الركن الأساسي في الإجراءات القضائية، وبلغ من مسئولية الشهادة لدرجة التي جعلت القوم يفرضون أشد العقوبات على شهادة الزور. وكان الكهنة يستخدمون النبوءات والأزلام للكشف عن الجرائم، وكانت العقوبة الشائعة هي الرجم أو الشنق أو الإحراق.

وقد تمخض عن قيام الملكية تهذيب القانون القبلي البدائي، فبدأوا يخففون من حدة الثأر وأصبح العقاب فرديًا بعد أن كان جماعيًا، كما بدأوا يميزون بين القتل العمد وغير العمد، ونمت النواحي الإنسانية في القانون لاسيما في عهد داود، وصار القانون قوميًا، بحيث لا يطبق إلا على الإسرائيليين وحدهم، وأخرج غير الإسرائيليين من نطاقه. [2]

وفيما يتصل بالجيش، فتشير المصادر إلى أن العبرانيين لم يعرفوا الجيش كهيئة دائمة إلا في العصر الملكي، فقد شرع طالوت في إنشاء جيش نظامي إنضم إليه كل إسرائيلي لائق للخدمة العسكرية، وربما من أجل هذا السبب نرى سيدنا داود فيما بعد يكلف ضباط جيشه بعمل تعداد للمجتمع الإسرائيلي. وأصبح الجيش الإسرائيلي في عهد داود يتكون من عنصرين أساسيين هما: السبا:

---

(١) حلمي محروس اسماعيل: *المرجع السابق*، ص ١٨١.

(٢) حسن أحمد محمود: *المرجع السابق*، ص ٣٦٨.

أي أفراد الحرس الملكي، والجبوريم، وهي القوات الدائمة، وقد تكونت نواتها الأولى من ستمائة مقاتل، كانوا قد تجمعوا من قبل حول داود عندما نفاه شاؤل، وكان يطلق عليهم " رجال داود الأقوياء"، ولم يكونوا جميعًا من الإسرائيليين، بل كان معظمهم في الحقيقة من شعوب أجنبية، وقد أحرز بهم داود انتصارات مهمة، كانتصاره الكبير على الفلسطينيين وكإحتلال "دولة المدينة أورشليم".(١)

ثم إزداد تعداد الجيش في عهد سيدنا سليمان بشكل ملحوظ، وأصبح أفراده يحملون أحسن الأسلحة المعروفة وقتذاك، (٢) والتي يمكن تصنيفها إلى نوعين: النوع الأول عبارة عن الأسلحة الخفيفة كالمقلاع والقوس والمجن الصغير الذي اشتهر باستخدامه البنياميون، أما النوع الثاني: فقد تضمن الأسلحة الثقيلة كالمجن الكبير والدرع والخوذة، وربما كانت هذه الأنواع من الأسلحة القتالية للملوك وعظماء القوم.وأما العجلات الحربية فقد أخذها الإسرائيليون عن الحيثيين عن طريق الفينيقيين، وفي كل عربة ثلاثة جنود، السايس والمحارب وحامل المجن، الذي يحمي الإثنين. (٣)

٢.٥ العقائد.

على الرغم من أن العبرانيين كانت لهم ديانة راقية قائمة على توحيد الخالق، فإن إختلاطهم بالفينيقيين قد نجم عنه تأثرهم بعقائدهم وطقوسهم الدينية، فتعلم العبرانيون منهم عبادة مظاهر الطبيعة وبعض الحيوانات وتقديم القرابين للآلهة، بل هناك من يذهب إلى القول بأن فكرة العبرانيين عن الحياة والعالم الآخر متأثرة بالأفكار الدينية الفينيقية، فمثلًا وليس حصرًا كان القوم يضعون الميت في

---

(١) محمد بيومي مهران: *المرجع السابق*، ص ٦٨٣-٦٨٤.

(٢) حلمي محروس اسماعيل: *المرجع السابق*، ص ١٨٢.

(٣) محمد بيومي مهران: *المرجع السابق*، ص ٦٨٧.

المقبرة ومعه الأشياء التي كان يستعملها في حياته اليومية، وكانت هذه الأشياء سواء أكانت مصوغات أو منسوجات كانت متأثرة بالفن الفينيقي الكنعاني. [1] لكن هذا في الوقت ذاته لا يمنعنا من بيان مدى الدور الذي لعبته اليهودية في تطور ديانة التوحيد، حيث ساهمت بشكل كبير في الثورة على الفكر الديني الطبيعي، أي المرتبط بالطبيعة والمستمد لآرائه منها، والإعتماد على العقل في سبيل الوصول إلى الحقائق الدينية، وتتجلى أهم التغييرات الدينية التي عبرت عن مرحلة الانتقال من الفكر الديني الطبيعي إلى الفكر الديني العقلي المتمثل في عقيدة التوحيد فيما يلي:

أولًا: أصبح الإله في الفكر الديني الجديد فكرة نظرية مجردة لا يمكن تصويرها أو تجسيدها بالشكل الذي وردت بها في الديانات القديمة، والمتأثر بتشبيه الإله بعناصر طبيعية مخلوقة، حيث كانوا يعتقدون أن الآلهة ترتبط بعلاقات أسرية فيما بينها مثل البشر، وأصبح الإله منزها عن الطبيعة والخلق، وانتهت الروابط الدموية العصبية؛ لأن الإله الجديد ليس إلها لعشيرة بعينها، بل هو إله لكل الخلق، وإن تعرضت الديانة اليهودية لنكسة فيما بعد، فعادت من جديد هذه الرابطة العصبية بين الإله والشعب.

ثانيًا: لم تعد فكرة الخلق نتيجة طبيعية لعملية التقاء جنسي بين الآلهة، كما حدث مع آلهة العالم القديم، وإنما أصبحت عملية الخلق في التفكير الديني الجديد عملية تعود إلى الإرادة الإلهية، فالخليقة من صنع الله صاحب المشيئة، كما إن الخلق أصبح خلقًا من العدم. [2]

---

(1) حسن أحمد محمود: *المرجع السابق*، ص ٣٦٩.

(2) محمد خليفة حسن أحمد: *رُؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته*، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٢٦٠-٢٦٢.

ثالثًا: انتهت فكرة الإله الحي الميت أي الإله الذي يموت ليبعث من جديد، وهي فكرة مرتبطة بالطبيعة وما تتعرض له من جفاف وإزدهار في الديانات الوضعية القديمة، فمثلًا في الديانة الآشورية والبابلية نجد الإله تموز الذي يموت ويولد من جديد في كل عام، فابنتهاء تقديس الطبيعة انتهت هذه الظاهرة وجاءت الديانة اليهودية بفكرة الإله الحي القيوم الذي لا يموت لأنه واهب الحياة والموت.

رابعًا: انتهت فكرة الصراع بين الآلهة وتأثيرها السلبي على المجتمعات البشرية القديمة، وقام النظام الجديد على فكرة الإله الواحد العادل، وبدأت الحياة الدينية تأخذ وجهة جديدة هدفها الإتجاه بالدين إلى ما يسمى بالتوحيد الأخلاقي القائم على تنظيم علاقات الأفراد على أسس من العدالة. (١)

وعلى ذلك، فقد كان الدين هو المظهر الوحيد الذي أسهم به العبرانيون في مضمار الحضارة، ومع هذا يمكن أن يدرس العهد القديم على أنه مؤلف أدبي ويمكن مقارنة الشريعة الموسوية بقانون حمورابي في كثير من المواد غير أنها تمتاز بما فيها من عناصر أخلاقية لم يرد لها مثيل في الشرائع السابقة.

وكان كهنتهم يقومون بالطقوس الدينية ويعدون أنفسهم وسطاء بين الإنسان ومعبوده، ومن هؤلاء من امتازوا بالحكمة وبلغوا مرتبة عالية في التفكير وقد عرفوا باسم الأنبياء الذين كانوا يهدفون إلى رقي الفرد وسلامة المجتمع عن طريق ربط الدين بالأخلاق، كما نادوا بعبادة إله واحد.

---

(١) نفسه، ص٢٦٢-٢٦٤.

أما عن التوراة فنجد أنها قد مرت بمراحل متعددة، فبدأت بالرواية التي يتناقلها الخلف عن السلف، ثم انتقلت إلى مرحلة التدوين وفيها جمعت من مدونات تاريخية قبل السبي وبعده، وقد تعرضت للتنقيح وحذفت منها بعض الأمور، كما ضاعت أثناء الجمع بعض الأسفار التي اكتفى بالإشارة إليها أثناء النسخ.

وبالإضافة إلى التوراة وجدت مجموعة من القواعد والأحكام والوصايا والتعاليم عرفت باسم التلمود، والذي ينقسم في الواقع إلى تلمودين: أورشليمي وبابلي، فالتلمود الأورشليمي هو ما وضعه احبار أورشليم ويحتوي على ٣٩ بحثًا بالعبرية، وقد كتب ابتداء من القرن الثاني إلى القرن الرابع الميلادي. أما التلمود البابلي فقد بدئ به في بغداد في أواخر القرن الخامس الميلادي، ويتضمن ٣٦ بحثًا بالآرامية إلى جانب بعض الشروح العبرانية، التي تشتمل على الأحكام الدينية المكملة لشريعة سيدنا موسى عليه السلام، ويعد هذا التلمود هو المتداول حاليًا بين اليهود. [١]

٣.٥ الفن.

تأثر الفن الإسرائيلي بالفن الكنعاني تأثرا كبيرًا، فقد سبق أن ذكرنا أن معبد سيدنا سليمان وهيكل اليهود بناه مهندسون من مدينة صور، فجاء تقليدًا للمعبد الكنعاني كما جاءت زخارفه متأثرة بالنظم الكنعانية، [٢] **وبالإضافة إلى ذلك كان القصر الملكي في أورشليم متأثرًا في هندسته وفي زخرفته بالمباني الكنعانية المعاصرة.**[٣]

---

(١) محمد أبو المحاسن عصفور: *معالم حضارات الشرق الأدنى القديم*، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٧م، ص ١٧٠-١٧١.

(٢) حسن أحمد محمود: *المرجع السابق*، ص ٣٦٩.

(٣) طه باقر: *المرجع السابق*، ص ٣٣٦.

٤.٥ اللغة والكتابة.

لم يقتبس الإسرائيليون من الفينيقيين لغتهم فحسب، إنما استعملوا في تدوين كتاباتهم كذلك الخط الفينيقي المتداول في بلاد كنعان، يستدل على ذلك من المخطوطات العبرانية التي عثر عليها في منطقة الخليل وغيرها، والتي يرجع تاريخها إلى حوالي ٧٠٠ قبل الميلاد. ثم حدث أن تطور القلم العبري أثناء فترة السبي البابلي، ودونت نصوص العهد القديم باللغة العبرية المعروفة بآرامية التوراة؛ وذلك لأن الخط المستخدم فيها كان مأخوذًا من الخط الآرامي المشكل من اثنين وعشرين حرفًا، وهو الخط الآشوري المربع الذي يعرف بالقلم العبري المربع، وهو المتداول إلى اليوم في الكتابة العبرية الحديثة.[١]

٥.٥ الموسيقى.

كانت طقوس المعبد في حاجة إلى الموسيقى، لذلك نجد أن المغنيين والموسيقيين معظمهم من الكنعانيين، وحينما وضع داود وسليمان أصول الموسيقى الإسرائيلية الدينية نجدها قد تأثرت بالموسيقى الكنعانية.

وكان من أهم الآلات الموسيقية عند اليهود القيثارة والدف وآلات النفخ كالبوق والأرغول والمزمار. ومثلما تطورت الموسيقى تطور الغناء ومن أقدم الأغاني عند اليهود أغنية ديبورة التي تسجل انتصار اليهود على الكنعانيين، كذلك كان هناك أغان خاصة بالحج تنشد في الطريق إلى المعبد، كما نظمت شعرًا على نمط الشعر

---

(١) فاطمة الزهراء عزوز: *المرجع السابق*، ص ١٠٩-١١٠.

الكنعـــاني حتـــى إن كتـــاب العهـــد القـــديم كلـــه يكـــاد أن يكـــون منظومـــة شعرية كبرى. [1]

(1) حسن أحمد محمود: *المرجع السابق*، ص ٣٦٩.

فهرس المحتويات

Contents

تقديم: ٣

الباب الأول ٥

مدخل إلى حضارة العراق ٥

الفصل الأول ٦

التنظيم السياسي والإداري ٦

١. تطور النظام السياسي في العراق القديم: ٧

١.١ نظام دويلات المدن: ٧

٢.١ النظام الملكي الموحد: ٩

٢. ولاية العهد: ١١

٣. تتويج الملك: ١٣

٤. ألقاب الملك: ١٤

٥. البلاط الملكي: ١٦

٦. الجهاز الإداري: ١٧

الفصل الثاني ٢١

الفـــكر الدينـــــي ٢١

١. نشأة الفكر الديني العراقي القديم وخصائصه المميزة. ٢٣

٢.الآلهة: ٢٥

١.٢ الإله آنو ٢٥

٢.٢الإله انليل: ٢٦

٣.٢ الإله انكي (أيا): ٢٧

٤.٢ الإله دوموزي: ٢٨

٥.٢ الإله مردوخ: ٢٨

٦.٢ الإله سين: ٢٩

٧.٢ الإله شمش: ٢٩

٨.٢ الإله أدد: ٣٠

٩.٢ الإلهة عشتار: ٣١

١٠.٢ الإله نرجال: ٣١

١١.٢ الإله آشور: ٣٢

٣. بداية الخلق في الفكر العراقي القديم: ٣٣
١.٣ بداية الخلق في الفكر السومري: ٣٣
٢.٣ بداية الخلق في الفكر البابلي: ٣٤
٤.الكهنة: ٣٧
١.٤ الكاهن الأكبر: ٣٧
٢.٤ السحرة: ٣٨
٣.٤ المنجمون والعرافون: ٣٩
٤.٤ المغنون والمرتّلون: ٤٠
٥.٤ الكاهنات: ٤٠
٥.العالم الآخر: ٤٢
٦.المعابد: ٤٣
الفصل الثالث ٤٧
التشريعات والقوانين ٤٧
١. تشريعات أوروكاجينا حاكم لجش. ٤٩
٢. تشريعات أور نمو حاكم أور. ٥٠
٣. تشريعات أشنونا. ٥٣
٤. تشريعات لبت عشتار حاكم إسين ٥٤
٥. تشريعات حمورابي. ٥٧
٦. التشريعات الآشورية. ٦١
الباب الثاني ٦٣
مدخل إلى حضارة إيران ٦٣
الفصل الأول ٦٥
التنظيمات السياسية والإدارية والعسكرية ٦٥
١.التنظيمات السياسية والإدارية: ٦٧
١.١ التنظيمات السياسية والإدارية في عصر المملكة الميدية: ٦٧
٢.١ التنظيمات السياسية والإدارية في عصر الإمبراطورية الأخمينية: ٦٨
٢.الجيش. ٧٥
١.٢ الجيش في عصر المملكة الميدية: ٧٥
٢.٢ الجيش في عصر الإمبراطورية الأخمينية. ٧٧
الفصل الثاني ٨٣

الفـــكر الدينـــــــي ٨٣
١.المعتقدات الدينية قبل الديانة الزرداشتية: ٨٥
٢.الديانة الزرادشتية: ٩٠
١.٢ زرادشت: ٩٠
٢.٢ كتاب زرادشت: ٩٣
٣.٢ مذهب وتعاليم زرادشت. ٩٥
٤.٢ معابد النار: ٩٧
٥.٢ دفن الموتى: ٩٩
٦.٢ الأعياد الدينية: ١٠٠
الفصل الثالث ١٠١
الآداب والعلـــــوم ١٠١
١.اللغة والخط: ١٠٣
٢.الأدب: ١٠٦
٣.القانون: ١٠٨
٤.الموسيقى: ١١١
٥.الفلك والتقويم: ١١٢
٦.الحساب: ١١٣
٧.السحر: ١١٣
٨.الطب: ١١٤
الباب الثالث ١١٧
بـــــلاد الشـــــــام ١١٧
الفصل الأول ١١٨
تاريخ الأمـوريين وحضارتهـم ١١٨
١. الأصل والتسمية: ١١٩
٢. موجز تاريخ الأموريين: ١٢٠
٣. مظاهر الحضارة الأمورية. ١٢٣
١.٣ اللغة الأمورية: ١٢٣
٢.٣ الفكر الديني: ١٢٣
٣.٣ النشاط الإقتصادي: ١٢٤

الفصل الثاني ١٢٥

تاريخ الفينيقيين وحضارتهم ١٢٥

١. الأصل والتسمية. ١٢٧

٢. دويلات المدن الفينيقية. ١٢٨

٣. مظاهر الحضارة الفينيقية. ١٣٣

١.٣ نظم الحكم والإدارة: ١٣٣

٢.٣ الحياة الإقتصادية: ١٣٤

٣.٣ الفكر الديني: ١٣٧

٤.٣ اللغة والكتابة: ١٤٠

الفصل الثالث ١٤٣

تاريخ العبرانيين وحضارتهم. ١٤٣

١. بنو إسرائيل قبل عصر الملكية: ١٤٥

١.١الموطن الأصلي للعبرانيين: ١٤٥

٢.١ بنو إسرائيل في مصر. ١٤٧

٣.١ دخول بني إسرائيل كنعان. ١٤٨

٤.١ عصر القضاة (١٢٠٠-١٠٢٠ ق.م). ١٤٩

٢. تأسيس الملكية الإسرائيلية. ١٥٠

١.٢ أسباب قيام الملكية الإسرائيلية. ١٥٠

٢.٢ طالوت (١٠٢٠-١٠٠٤ ق.م). ١٥١

٣.٢ داود(١٠٠٤-٩٦٠ ق.م). ١٥٢

٤.٢ سليمان(٩٦٠-٩٢٢ ق.م). ١٥٤

٥.٢ إنقسام المملكة الإسرائيلية وإضمحلالها. ١٥٦

٣. دويلة إسرائيل. ١٥٨

٤. دويلة يهوذا. ١٦٠

٥. مظاهر الحضارة العبرانية. ١٦٢

١.٥ نظم الحكم: ١٦٢

٢.٥ العقائد. ١٦٤

٣.٥ الفن. ١٦٧
٤.٥ اللغة والكتابة. ١٦٨
٥.٥ الموسيقى. ١٦٨
فهرس المحتويات ١٧٠